هولوكوست

-في حضرة ريم -

بقلم محمد عضمة

بطاقة الكتاب:

اسم الكتاب: هولوكوست – في حضرة ريم-

اسم الكاتب: محمد عضمه

رقم الايداع : 1698/2022

الترقيم الدولي: 978-977-6907-69-0

نوع الكتاب: رواية

عدد الصفحات: 201صفحة

المقاس: 14x 20

رئيس مجلس الإدارة

مها المقداد

للتواصل والطلب من داخل أو خارج مصر:

الغلاف والتنسيق الداخلي والمراجعة

أقر المؤلف بأنه وحده صاحب الحقوق الفكرية للكتاب، وأنه يضمن للناشر عدم التعرض من الغير بخصوص الملكية الفكرية, كما صرح أن هذا الكتاب ليس في مضمونه ما يمنعه القانون، وأن الآراء والأفكار التي يتضمنها محتوى الكتاب تعبر عن فكر المؤلف فقط ولا يعبر عن رأى الناشر، ولا يوجد داخل الكتاب نقل أو استعارة بما قد يعرّض الناشر للمسؤولية القانونية.

فريق عمل

دارالمصرية السودانية آلاماراتية للنشروالتوزيع

تصميم الغلاف :

التنسيق الداخلي: منى وجيه

دار المصرية السودانية آلاماراتية للنشر والتوزيع-مها المقداد

+201289024055

Mahaelmukdad@gmail.com

تصحيح لغوي : اسراء جمال

مراجعه قانونية : أ/ حسام الدين الجوهري

مراجعه نقدية : د/ محمد عرفه

تنسيق : منى وجيه

إهداءات

إلى أهل بيتي، أمي الغالية وإخوتي شقائق قلبي،وزوجتي الحبيبة الصبورة سندي في هذه الدنيا أ/مها محمد صبري وأولادي حبيبة و يحيى وحمزة.

اهداء هام إلى

-أ / ناصر رمضان و جروب الكتابة و أهلها -اسلام وهبان وجروب مكتبة وهبان

- جروب أدباء ولكن ظرفاء وائل عبد الرحيم

- جروب عنبر الكتاب سامي جويلي

- د/ إيمان الدواخلي

- د/ أسامة الشاذلي

مقدمة

بين كل غروب وشروق تنبعث الفكرة، بين كل جيل وجيل تتولد الذكرى، وبين كل مكان ومكان تبدأ الرحلة، رحلة طويلة عاصرها جيل يعقبه جيل، جيل خلد ذكراها بدمائه ليسطر أحداثها، ليتركها لجيل بعده يكمل سرد روايتها، لتصبح هذه هي العبرة، روح واحدة تجزأت أشلاؤها بين الشعوب، لتكون هذه هي الرحلة، رحلة البحث عن الهوية العربية التي أضاعتها براثن الاحتلال، وبينما نحن في الطريق ضالين نبحث عن المعنى الحقيقي للحياة هناك من يستمر في غرس جذوره الواهية ليؤكد للعالم أجمع أسطورة هويته الكاذبة بينما نحن مازلنا نهرب من الإجابة عن هذه الأسئلة، متى سيجمعنا وطن واحد أكبر؟

متى سنجد هويتنا التي أضاعتها منَّا الفُرقة؟ متى سنصبح يدًا واحدة أمام قوى الاحتلال الواهية؟ هذا هو السؤال الذى سنبحث عن إجابته على مدار أحداث الرواية.

بقلم الروائية: أمنية الريحاني

الفصل الأول

غزة

غزة ٢٠٢١

مزيدٌ من الشهداء في رحلة أخيرة إلى الجنة، الأكفان البيضاء متراصة إلى جانب بعضها البعض في أحجام مختلفة تشي بتنوع سن من أُصيبوا واستشهدوا في هذا القصف الوحشي، يتعاون الرجال على وضعهم في القبور وثمةَ صمتٌ موحش يملأ المكان لا تقطعه إلا آيات من القرآن يتلوها أحد الرجال.

على الناحية الأخرى تقف هناك بعينين دامعتين وملامح وجه تكسوها الصلابة، عاقِدةً حاجبيها، يطير الهواء خمارها الأسود في نعومة، وتشعر أنها راية نصر مرفوعة في شموخ مما يجعلك تتعجب من هذه الوقفة، وكأنها لم تفقد جميع أفراد عائلتها منذ نصف يوم، وها هي تودعهم إلى محطتهم الأخيرة.

-ريم

ارتفع الصوت مناديًا إياها ليأخذها من هذه الأفكار فالتفتت إلى مصدره، إنه إياد، زميلها بالجامعة وجارها الذي لم يتركها وحيدة، حاولت التماسك لترد فخرج صوتها رغمًا عنها مبحوحًا من أثر البكاء.

ريم: ماذا يا إياد؟ أفرَغتُم الآن من الطقوس؟

إياد: نعم، والآن هيا بنا، لنتركهم مع هذه اللحظات السعيدة الأولى لهم في الجنة.

اللهم ألحقنا بهم عاجلًا غير آجل!

هيا يا ريم.

ريم: إلى أين؟! لم يعد لي مأوى يا إياد، وكل من عرفتهم ذهبوا، أبي وأمي وإخوتي وعمي وأولاده، أصبحتُ آخر فرع من فروع عائلة المصري.

إياد بضيق : وأين ذهبنا نحن! أمي زينب بانتظارك، وأختي حُسنة في المنزل أيضًا، فقط لنذهب ثم تقررين بعدها ما القادم.

ريم بسخرية: القادم!

ثم تكمل ريم: يا لها من كلمة، أي قادمٍ يا إياد!

كل ما أتمناه الآن هو أن ألحق بهم حتى لا أظل وحيدة، إن كأس اليُتم مرٌّ يا إياد.

إياد: فلننطلق الآن يا ريم، وليكن ما يكون.

***

منزل إياد

كانت حسنة مقاربة لريم في السن، وكانتا تدرسان معًا الحقوق في رام الله، وكانت هي المُقربة منها ومستودع أسرار ريم؛ لذا كان اللقاء حارًّا وموجِعًا، لم يقطعه إلا دخول زينب والدة إياد بصندوق متوسط الحجم قدَّمتهلريم.

زينب: البقاء لله يا ابنتي!

ريم: أطال الله عمرك يا خالتي!

زينب بجدية: ريم، هذا الصندوق آخر ما وجِد من ممتلكاتكم بعد قصف البرج السكني،وقد أصبح الآن ملكك.

ريم بتعجب: لا أذكر أنى رأيته عندنا من قبل.

زينب: هذا لأن أباك عز الدين المصرى لم يشأ أن يُعلمك بأمره إلا بعد وفاته.

ريم: عجبًا! وماذا يحوي؟

زينب وهي تُشير بيدها: لا شأن لنا به، إنه إرثك.

لتتدخَّل حسنة فى الحوار وتقول: لا ريب أنه يحتوي علي وصيةٍ ما، افتحيه يا ريم لكي تهدأ نفسك الآن.

ريم: حسنًا، سأفتحه الآن.

وتهُمَّ بفتحه إلا إن زينب توقفها قائِلة: بمفردك يا بنيتي.

ريم: ولمَ؟لستُم أغرابًا يا خالتي.

زينب: هذا أفضل، تلك لحظتكِ أنتِ فقط، هيا يا حسنة.

تغادران المكان وتغلقان الغرفة عليها بينما تنظر هي بترقُّب إلى الصندوق

***

تاريخ غابر

تفتح ريم الصندوق لتجد عدة أوراق مهترئة قديمة، تبدو كصك ملكية مختوم قديم، ثم ورقة أخرى محفوظة جيدًا وقديمة أيضًا، تفتحها وتبدأ في القراءة.

(إلى من سيقرأ هذه الرسالة من بعدي:

سلام عليك، أكتب هذه الرسالة لكي تظل جذوري راسخة في الأرض ولا يضيع ذكري، اسمي عبد القادر حسن مهنا، مصري، من مواليد بنها العسل، جئت إلى فلسطين قسرًا مع أقراني بغرض التجنيد الإجباري الذى فرضته علينا قوات الاحتلال الإنجليزى قبل قيام الحرب العالمية الأولى، وجدنا أنفسنا فجأة نحارب تارة ضد الأتراك وتارة ضد دول المحور، حضرت بدايات وعد بلفور ورفع الانتداب الإنجليزى عن فلسطين وبدء هجرات اليهود إليها.

قاتلت اليهود مرات عدَّة، طاب لي المقام وتزوجت سلمى حسناء أسدود الفلسطينية لأنجب علي، ويُنجِب علي محمد،وينجِب محمد عز الدين، ووسط هذه الأحداث لم أنس

أبدًا جذوري في بنها؛ لذا أُذكرك أيًّا تكون من أحفاديبزيارة بنها وإعلام من هناك أن فرعًا انشقَّ عن شجرته وأقام شجرة جديدة هنا، وستجد أيضًا صكَّ ملكية أرضي التي اغتصبها عمي، عشرُ فدادين في زراعات بنها فلا تقطع الفرع الذي هاجر إلى الأبد، وارجع إلى هناك لتكمل ما كنت أنوي إكماله والحصول على إرثي لولا وشاية عمي بيإلى الجهادية، واعلم أن المسألة ليست فقط أموالًا ولكنها تحقيقٌ لحلم عجوز لم يستطع تحقيقه وسيواريه الثرى في فلسطين..)

انتهت الرسالة، وتذكرت ريم الآن لمَ كانت تسمى بريم عز الدين المصري، من قال إنَّ جذورها انقطعت!

ولكن كيف ستحاول وصل هذه الجذور.

***

الفصل الثاني

مرحبًا بكم في غزة

مرحبًا بكم في غزة

انهمكت ريم في كتابة مقالة جديدة على الويب سايت الخاص بها (هولوكوست عربي)لآلاف المتابعين لها.

مرحبًا بكم في قطاع غزة، تسمعون عنَّا كثيرًا، ولا ريب أنَّ وسائل الأنباء قد أرهقت أسماعكم بأخبار الحصار في غزة، وكما تعلمون نحن ننقسم في فلسطين إلى قسمين، الأول: سكان قطاع غزة حيث الحصار المتواصل من إسرائيل، وضعف إمداد الوقود والغاز، مما انعكس على نمط الحياة اليومية، تتوفر الكهرباء هنا لثمان ساعات يوميًا فقط وبالتبادل، نهارًا مرة وليلًا مرة، وبالتالي دبر أنت احتياجاتك اليومية من المياه والشؤون المنزلية بمعرفتك، وفى النصف الآخر من اليوم نعتمد على البطاريات، بطارية للمراوح، بطارية لراوتر النت، بطارية سيارة لتشغيل التلفاز، وبطارية لشحن البطارية حتى.

أما العلاج فأغلبه يأتينا تهريبًا، وإذا شئت أن ترفه عن نفسك فليس أمامك إلا الأبراج الضخمة حيث المحلات والمولات والكافيتريات المختلفة، وحتى هذه تم تدميرهاأثناء القصف الإسرائيلي الأخير، ومع هذا يظل هناك من يعتقد أن الأمور

مازالت تسير على ما يرام، وأننا مع مرور الوقت أصبحنا نملك القدرة على التعايش مع أية ظروف تُفرض علينا، وهذا ما أعتقد أنه سر قوتنا وصلابتنا (التعايش والتأقلم).

مرحبًا بكم في غزة حيث مواكب الأفراح تسير جنبًا إلى جنب مع مواكب الجنائز، في الوقت الذي تضع فيه امرأة ما حملها الرابع أو ربما الخامس في مشفى جانبي؛ لا تتعجبوا فالإنجاب بكثرةٍ هنا أحد وسائل المقاومة الديموغرافية ضد الاحتلال؛ ولهذا يتم تصنيف النساء الفلسطينيات كأكثر النساء خصوبة على مستوى العالم، ونلجأ إلى هذا على أمل أن يفوق عددنا يومًا ما أعداد المحتل.

ونموذج جنوب أفريقيا وتجربة السود والبيض ما زالت في الذاكرة؛ لهذا ففي أيَّة فرصة يتم قصف غزة بواسطة قوات الاحتلال يحرص المحتل أشد الحرص على حصدنا حصدًا، وفي المقابل لا نكف نحن عن الإنجاب،وحتى لو استشهد الرجال نتخذ من تاريخنا الاسلامي القدوة ونتزوج مرة أخري كما كانت تفعل الصحابيات في عصر صدر الأسلام بهدف العفة واحداث فارق عددي .

مرحبًا بكم في غزة حيث تجد الأطفال هنا منذ نعومة أظفارهم لديهم مهارات مختلفة في العدو والتخفي، والمراهقين لديهم قدرة على التعامل مع كافة أنواع الأسلحة المختلفة، وتمييز سلاح عن غيره بمجرد سماع دوى انفجاره، مرحبًا بكم حيث حماس التي ما زالت تمثل آخر فرع من فروع شجرة المقاومة وتمثل لإسرائيل شوكة في ظهرها، قد تختلف أو تتفق مع حماس، وقد تشعر بالدهشة حينما ترى ثراء قيادات حماس في الدول المجاورة، وحينما ترى حفل زواج ابن قيادة ما تتجاوز تكلفته المليون دولار، ولكن من القواعد الراسخة هنا أنَّ حماس تتكفل بأسر الشهداء وتعليم أبنائهم وتوفير فرص العمل للشباب وهذا في حد ذاته يكفينا.

أما القسم الثاني فهو رام الله والضفة الغربية حيث حركة فتح والقدس والمسجد الأقصى الذي نحلم نحن سكان قطاع غزة برؤيته رأى العين، ولكن سلطات الاحتلال تسن قانونًا ينصُّ على الآتي:على من يرغب من سكان قطاع غزة بزيارة القدس أن يتجاوز الخمسين حتى لا يكون قادرًا على إثارة المشاكل هناك. ما الضفة الغربية فالأوضاع هناك تختلف عن غزة على طول الخط، لماذا؟!

لأن الاحتلال نجح في أن يثير الضغائن ويقسم الصف الفلسطيني ويهجن حركة فتح، وبالتالي أصبحت الحياة -هنا- أفضل بالنسبة لهم في ظل الاحتلال، أنا ريم، هل عرفتموني؟!

ثم رفعت المقالة على الموقع، وجلست تفكر فيما هو قادم.

***

وجيه

وجيه: لا أعرف من أين أبدأ، طبقًا لهذه الصكوك فأنتِ تمتلكين ما يقرب من عشرة فدادين من الأراضيالزراعية في بنها بمصر ومنزلين كبيرين أيضًا، وحاليًا على حسب خرائط جوجل فهذه الأراضي أصبحت مناطق عمرانية في أرقى أحياء بنها، أي إنها تمثل ثروة هائلة، هل تدركين ما أنتِ فيه؟!

ريم بمرارة: كل ما أدركه الآن أنني سأتوجه إلى بنها، وأزور عائلة تربطني بهم صلة نسب منذ مائة عام وأقول لهم: مفاجأة، أنا قريبتكم من فلسطين؛ لذا أعطوني ما تملكون لأنه ملكي الآن بصفتي الوريثة الوحيدة.

لتصمت قليلًاثم تكمل: ووسط الدموع والأحضان سيفتحون أذرعهم ويقولون لي تفضلي.يا لها من مهمة سهلة.

وجيه ضاحكًا: حسنًا، تبدو الأمور سهلة للغاية، أنت من تصعبينها على نفسك. ثم يقترب منها ويقول: ريم، أعلم أنها مهمة ليست بالهينة أنتِ تحاولين وصل ما انقطع من جذور،

وهذه مهمة تحتاج إلى مهارة الجراحين وبراعة المحامين في تبرير نواياهم.

ريم: هذه أصعب قضية أكون فيها المتهم والخصم وصاحب الحق في آن واحد، كيف أقنع عائلة بأكملها أنني لا أرغب في تجريدهم من أموالهم، وكل ما أريدههو أن يكونو سندًا ل .. لتصمت وتتابع ببكاء:

- والشعور معهم بالأمان والونس، الشعور أن عائلتي لم تمت كلها وتلق حتفها في القصف، إنها قضية خاسرة بدون حتى التفوه بلفظ واحد، هاكُم يا رفاق، فتاة تدعي قرابتنا، الله وحده يعلم أهي صادقةأم كاذبة، وترغب في الاستيلاء على ما نمتلكه، أرأيتم هذه البجاحة والصفاقة.

وجيه: لا أعتقد أن أيّ ًأمرٍ يقدره الله - سبحانه تعالى- يبوء بفشل، ما هي إلا مجريات أمور تجري بنا وأسباب نأخذ بها، وفي النهاية أمر الله هو الغالب، اعقليها وتوكلي على الله يا ريم، لعل الله يكتب لكِ من الخير أضعافه! فقط حكِّمي العقل وتحلي بالصبر.

هنا رن جرس الجوَّال فنظرت إليه ووجدت إياد يحدثها.

ريم: إيادا! كيف حالك يا رفيق العمر؟ أنا بخير، ماذا! حسنًا، دقائق وأصل للمنزل.

ثم تنهَّدت وأنهت المكالمة فنطق وجيه بتساؤل:

- يبدو أنها مكالمة هامة، لعلها تحمل أخبارًا جديدة.

ريم: نعم، يقول إيادإ نَّه توصل لمعلومات جديدة عن أسرتي في مصر.

وجيه: خيرًا إن شاء الله، يا ريم، لقد كنت معلمك بالجامعة قبل أن أصبح المحامي الخاص بعائلتك، وإن سمحتِ لي فأنا الآن أحل محل أبيك الراحل أيضًا؛ لذا إن دعت الحاجة لوجودي لتدخُّلي بأمرٍ ما فأنا لها.

ربَّتت ريم على كتفه وقالت: كلي ثقة بهذا الأمر.

***

منزل إياد

نطق إياد وهو يشير لشاشة اللابتوب:

- كما ترين، سيلٌ من المفاجآت.

ريم بلهفة:

-أرني، أنتَ دومًا تنجح في تشويقي يا إياد.

يبتسم إياد ويواصل الشرح:

-عائلة المصري عائلة كبيرة الآن في بنها العسل بالقليوبية، تمتلكُ سلسلة من الأبراج الضخمة التي توجد بها العديد من المولات التجارية وبعض المصانع المتخصصة في تعبئة المواد الغذائية، أما عن أعلام العائلة فهم كالتالي:

(أحمد شوقي المصري) كبير العائلة، والمتحكم الأوحد فيها، ورئيس مجلس إدارة شركة المصري للمقاولاترغم وجود كل من.

ثمَّ تتغير الصورة ليظهر شخصٌ آخر.

إياد: شقيقه (عادل شوقي المصري) مدير المشروعات.

ثم ينتقل إلى صورة آخري مُتابِعًا:

-(تحسين شوقي المصري) مدير الحسابات.هذان الشخصان بمثابة ساعديه الأيمن والأيسر.

ريم: أكمل يا إياد.

إياد: أما عن أسرة (أحمد شوقي المصري) فهى مكونة من زوجته سيدة المجتمع (هناء سعيد المشتولي) وأبنائها (رانيا شوقي) جامعية تبلغ من العمر ٢٠ سنة، لها اهتمامات بالموضة والأزياء، ثم (عصام أحمد شوقي المصري) تخرَّج في كلية التجارة، ويساعد أبيه في أعمال الإدارة،مرشح لخلافته رغم صغر سنه ووجود شقيق أكبر لا يشاركهم الاهتمامات وهو يحرك الصورة ليظهر شخصٌ وسيم، قوى البنية (حسام) حسام أحمد شوقي المصري،تخرَّج في كلية الآداب، ناشطٌ سياسي، أحد رموز ثورة يناير، مهتمٌ بالجمعيات الخيرية وصاحب جمعية صغيرة تهتم بإقامة المشروعات الصغيرة للفقراء ومساعدة أسر المعتقلين.تطيلُ ريم النظر للصورة بغرابة وتقول: يبدو وكأنه....لا أعرف.

تصمتُ لبُرهة ثم تستأنف بتوتر: يبدو وكأنه أبي نوعًا ما، ولكنه أصغر سنًّا.

إياد: هذا ما قاله أبي حينما رآه، سبحان الله!

دليلٌ أخر على قرابتك للعائلة.

ريم: هذا إن تقبَّلوا هذه القرابة أصلًا.

إياد: تتبقَّى لنا المفاجأة الأخيرة.

ريم: أهناك المزيد بعد! كنت أظنك قد فرغت.

إياد: كنت أدَّخر مفاجأة أخيرة، هذه هي، وتمالكي أعصابك.

حرَّك الصورة ليظهر وجه سيدة عجوز متغضنة الملامح، طاعنة في السن، يشعُّ بريق من عينيها، وبجوارها يقف ثلاثة من الرجال، وخلفهم تقف مجموعة من الشباب والفتيات وبعض الأطفال.

ريم: من هذه يا إياد؟

إياد: لكِ أن تصدقي أو لا تصدقي، هذه فاطمة الزهراء، أكبر معمرة في مصر الآن، ولدت عام ١٩٠٨ أي إنها تبلغ الآن ما يقارب ١١٢ عام، هذه السيدة وبكل بساطةهي شقيقة جدك الأكبر، كبيرة العائلة، وإن شِئت الدقة فهي كبيرة الفرع الفقير من الأسرة.

ملأت علامات الدهشة وجه ريم، وأكمل اياد:

- هذه صورة فاطمة الزهراء أثناء عملها بالتمريض إبان العدوان الثلاثي.

ثم يُكبر الصورة ويضع صورة أخرى جنبًا إلى جنب معها.
إياد: انظري، ما رأيك الآن؟

ريم بدهشة أكبر وهي تنظر للصورة: كف عن العبث يا إياد، هذه صورتي وقد عدَّلتها أنت بخاصية الفوتشوب لتشبه صورة فاطمة الزهراء.

إياد: حقًّا! الصورة كما هي يا ريم، لم أجر عليها أيَّة تعديل، هذه صورتك أنتِ، والأخرى هي صورة فاطمة الزهراء فعليًّا.

ريم: هذا التطابق مستحيل، ليس إلى هذا الحد!

إياد: يبدو أن كل الامور تشير إلى أنَّ الجذور تناديكِ يا ريم.

ريم: وكيف سألبي النداء يا إياد؟

الخروج من غزة تلزمه العديد من التصاريح الأمنية والأموال أيضًا، ومدخراتي بالكاد تكفي لرحلة ذهاب بلا عودة، والعودة أهم لنفسي من الذهاب فلا أعرف إن كنت سأنجح في مهمتيأم لا.

كانت ريم كمن يغوص في بحرٍ من الأفكار لا قاع له؛ لذا ومع كل هذه الضغوط لم يتحمل جسدها هذا الضَّغط فاستجابت

لنداء جسدها وارتمت بجوار حسنة ونامت بعمق، ولم تمر إلا لحظات قليلة عليها حتى شعرت بنفسها تقوم مرة ثانية عن السرير، ولكن لحظة.. كيف غادرت وجسدها ما زال راقدً إنها تطفو بسقف الغرفة وهي لا تعرف أي تفسيرٍ لما تراه سوى أنها ماتت وتتجه للقاء ربها، ولكن بنظرة لجسدها وصدرها الذي يعلو ويهبط أدركت أنها نائمة، ماذا يحدث لها إذًا؟ خلال ثوانٍ قليلة تغيَّرت موجودات الغرفة لتجد نفسها تطفو خارج المكان وتعبر صحارٍ غريبة وأراضٍ زراعية، ونهرًا طويلًا جدًّا يبدو كأنه بلا نهاية، ما هذا المكان الغريب؟

ثم تبدَّلت الموجودات مرة أخرى لتجد نفسها بمنزلٍ آخر غريب الشكل، وتحديدًا بغرفة نومٍ واسعة، وبركنٍ من أركان الغرفة سيدة جالسة في مصلاها وأمامها مصحف مفتوح تقرأ منه:"بسم الله الرحمن الرحيم* وأما الزَّبدُ فيذهبُ جفَاءً وأمَّا ما ينفعُ النَّاسَ فيمكُث في الأرض"

تنتهي السيدة من القراءة وترفع رأسها لريم لتتجمد ريم من المفاجأة، وينطلق لسانها في دهشة: من! الزَّهراء! جد ..... وتقطع ريم الكلمة من جمال البسمة التى تملأ محياها.

الجدة: قوليها يا ريم، جدتي! متعيأذني بسماعها يا بُنيتي.

ريم: جدتي!

الجدة: نعم جدتك، لا ريب أنك تسألين عمَّا يحدث الآن، إنَّ روحك الصافية هي من جاءت بكِإلى هنا، تلتقي روحانا لأول مرة فى مصر قبل أن تلتقي الأجساد.

ريم: مصر! كيف هذا؟ يا له من حلم! أكنتِ تعلمين بوجودي يا جدتي.
الجدة: كان عز الدين شغوفًا بمحاولة لقائِي، سنوات طويلة

مرت وأنا أرى مَن حولي يكبرون ويشيخون ويموتون وأنا عاجزة عن اللحاق بهم لحكمةٍ يعلم الله وحده تفسيرها، حتى وصلني خطاب عز الدين الذي كان يحمل صورًا لكِل وبقية إخوتك، ولم يتثنَّ لي الرد، ومنذ فترة قليلة ا حلمت ..بسقوط ضرس لي من فمي فأدركتُ أن هناك خطبًا ما، بعدهاعلمتُ باستشهاد عز الدين وبقية أسرتك وانقبض قلبي، ولكن حينما أدركت أن هناك من بقي من ذرية عز الدين وهي ريم . أيقنتُ ان هناك أمرًا ما ميسرٌ لي عمله في الدنيا، وأنا الآن فى انتظار قدومك يا ريم.

ريم: وما فائدة القدوم إن كنت أعلم ما ينتظرني هناك من صراع مع الأسرة؟

الجدة: ربما يكتب الله لكِ جمع شمل هذه الأسرة بفرعيها الغني والفقير، وتنتهي مشاكل أجيال كثيرة إلى الأبد، ويعم الحب والوداعة أنفسًا مضطربة. ريم: تُرى هل سأفلح يا جدتي؟

الجدة: ربما، لا أحد يعرف الغيب إلا الله.

ريم: أنا بمفردي.

الجدة: من قال إنكِ بمفردك.

ثم تشير الجدة لسقف الغرفة فتتكون صورة شخص ما وتتضح ملامحه (حسام أحمد شوقي). ريم بدهشة: حسام!

ثم فجأة تنسحب روحها سريعًاوترتد لجسدها وتقوم فزعةً من النوم وتشهق بقوة، تستعيذ بالله، تتناول كوبًا من المياه ويتنامى إلى أسماعها قرآن الفجر.

***

صباح جديد

في الصباح استأنفت ريم قراءة مذكرات جدِّها باستمتاع، كانت المذكرات تحفةً تاريخية حقًّا ولعل طريقة سرد جدها المشوقة هي التي جعلتها تتعلق بهذا الأمر خاصَّةً الجزء التاريخي منها،والذى يغطي مرحلة هامة كنت تخفى عنها..

يقول الجد: ما زلتُ أذكر هذا اليوم عندما اندلعت الحرب في أوروبا بالأسبوع الأول من أغسطس ١٩١٤ فقد كنت أتقن القراءة بسبب حفظ القرآن الكريم بكُتاب القرية، وأقرأ الجرائد اليومية في دكان البقالة، وكانت تأتينا الجرائد متأخرة يومًا أو يومين ولكنها تفي بالغرض، بعد إعلان بريطانيا للحرب بيوم واحد وللحيلولة دون إعلان مصر الحياد أجبرت السلطاتُ البريطانية الحكومة المصرية على إصدار قرار ٥ أغسطس الشهير الذي قضي بمنع التعامل مع ألمانيا ورعاياها، وكأنَّ مصر بذلك أعلنت الحرب على ألمانياولكن بعد أن أعلنت الدولة العثمانية رسميًّا الحرب على بريطانيا يوم ٢ نوفمبر أصبح الوضع في مصر أكثر تعقيدًا، فقد كان معنى قيام الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية أن تصبح مصر من الناحية

القانونية في حرب مع بريطانيا، وأصبح مشروعًا للمصريين أن يحملوا السلاح ضد البريطانيين دفاعًا عن سلطتهم الشرعية، أي (السلطان العثماني).

في تلك الفترة كان الجنرال (ج. ماكسويل) قائد الجيوش البريطانية في مصر لا يملك من الأمر شيئًا وينتظر أوامر بريطانيا العظمى وبالتالي سارعت بريطانيا لإيجاد حل لهذه المعضلة، وجاء الحل كما هو معروف بإعلان الحماية البريطانية على مصر - وليس بضمِّها كإقليم يتمتع بحكم ذاتي أو كمستعمرة من مستعمرات الإمبراطورية البريطانية - يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤وكان هذا الباب الذي فُتِح ليتم تجنيد المصريين على أساسه، واتخذت بريطانيا قرارًا آخر وهو قرار فرض الأحكام العرفية بيوم ٢ نوفمبر والذي أدخل في الخطاب القانوني المصري مفرداتٍ ما زلنا نعاني منها حتى اليوم ففي هذا القرار قال (ج. مكسويل) قائد الجيوش البريطانية في مصر:

"إنَّ أحسن ما يمكن للأهالي عمله للصالح العام هو الامتناع عن كل عمل من شأنه تكدير صفو السلم العام أو التحريض على التنافر ومساعدة أعداء ملك بريطانيا وحلفائه، والمبادرة

باتباع جميع الأوامر التي تصدُر- لحفظ السلام العام وحسن النظام - عن طيب خاطر."

أما عن حقيقة وضع الجيش المصري في هذا الموقف الملتبس فبعد إعلان الأحكام العرفية وتمهيدًا لإعلان الحماية أصدرت السلطات العسكرية البريطانية منشورًا هامًّا بيوم ٧ نوفمبر ١٩١٤ جاء فيه:

"ولعلم بريطانيا العظمى بما للسلطان بصفته الدينية من الاحترام والاعتبار عند مسلمي القطر المصري فقد أخذت بريطانيا العظمى على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب بدون أن تطلب من الشعب المصري أية مساعدة، وبالتالي فبصدور هذا المنشور أصبح الجيش المصري معفىً من تقديم أيَّة مساعدة في الحرب ضد ألمانيا أو الدولة العثمانية."

على أنه وبسبب صعوبة المعارك وفداحتها، وبسبب عدم حسم الحرب في غضون شهور قصيرة كما كان يأمل القادة العسكريون خنثت بريطانيا بالعهد الذي قطعته على نفسها بألا تطلب مساعدة عسكرية من مصر في معاركها المتعددة، وبالتالي فقد شاركت القليل من الوحدات القتالية بالجيش

المصري النظامي في الدفاع عن مصر، ثم اتجهت بريطانيا لتجنيد الفلاحين المصريين من كافة أنحاء القطر المصري، ووقتها تمَّ نزعُنا من أحضان أمهاتنا ليُزجَّ بنا في حربٍ لا ناقة لنا فيها ولا جمل، وجاء هذا بعد وشاية عمي بأمرنا للجهاديةلكي يستولي على إرث أبي الراحل ويتم القبض علينا أنا وإخوتي(فتحى وسالم) ويلقى بنا إلىأتون حرب مستعرة تحديدًا في منطقة القناة، لم نترك خلفنا إلا أمنا وفتاة صغيرة هي شقيقتنا فاطمة الزهراء وكانت لم تبلغ السابعة بعد.

كان الدفاع عن قناة السويس المهمَّةَ الأسمى التي كُلفت بها تلك الوحدات، ومن أشهر المعارك التي خاضها الجيش النظامي المصري معركة ليلة ٢-٣ فبراير ١٩١٥ عندما تمكَّن الجيش العثماني - بقيادة جمال باشا، قائد جيش الشام - من عبور سيناء والوصول للقناة، وأخذ في بناءِجسر للعبور للضفة الغربية للقناة، على أن بطارية الطوبجية (أي المدفعية) المصرية الخامسة بقيادة الملازم أول أحمد أفندي حلمي تصدَّت للقوات العثمانية، وصوبت نيرانها عليها فأبادتها.

استُشهد أحمد حلمي في هذه الواقعة، وودعنا في المعركة أيضًاأخي فتحي - رحمة الله عليه- إثر شظية نفذت لقلبه،

وباستثناء تلك المعركة لم نكد نرى للجيش النظامي أيَّ دور قتالي في الحرب العالمية الأولى، ولا يعني هذا أن مصر لم تشارك بجهود أخرى في الحرب فقد تحمَّلت مصر أعباءً جسيمة لإمداد وعلاج مئات الآلاف من جنود الحلفاء الذين وفدوا على البلاد من كل أرجاء الإمبراطورية وتزويدهم بالمؤن، وكان على المجتمع المصري أن يمد الحلفاء بعشرات الآلاف من العمال فيما عُرِف بفيالق العمال والهجانة المصرية، ليس ذلك للقيام بأعمال قتالية بل للقيام بأعمال النقل والمواصلات مثل:

مدِّ خطوط السكة الحديد في سيناء؛ لتسهيل وصول الجنود لدحر القوات العثمانية، وفي السودان للقضاء على حركة السلطان علي دينار في دارفور، ونقل العدد والمهمات على ظهر عشرات الآلاف من الجِمال، كما اشتركت بعض كتائب العمال في تعزيز شبكة المواصلات في معارك الدردنيل، ونشرت الأهرام بتاريخ ١٢ أبريل ١٩١٧ خبرًا مفاده أنَّ فرقة عمالٍ مصرية وصلت فرنسا وأنَّ أعضاء هذه الفرقة كانوا رجالًا "ممتلئين صحة وقوة ونشاطًا." وكانت هناك فرقة عمال أخرى اشتركت في مسرح العمليات في العراق.

توقَّفت ريم عند هذا الجزء وشرد عقلها بما درسته قديمًا على يد وجيه فيما يخص الشأن اليهوديوكيف استطاع اليهود زرع أنفسهم في فلسطين، هذه الأرض التي كانت تُمثل حُلمًا صعب المنال لولا ضعف العرب وتخاذُلهم وانهماكهم في صراعات قبلية حتى انتهى الأمر بوقوعهم بين براثن الاستعمار.

كانت ريم شغوفةً بكل ما يخص النكبة من أحداث تاريخية، وآمنت دومًا أنه لتحقيق انتصار كامل على العدو يجب أن تدرسه جيدًا؛ لتعرف نقاط قوته وضعفه لهذا كانت تستمع للعديد من محاضرات قادة منظمة حماس، وكانوا بدورهم لا يدخرون وسعًا في تذكير هذا الجيل والأجيال الصغيرة دروسًا حول أسباب النكبة.

مازالت تتذكر محاضرة أحد القادة حول بدء هجرة اليهود لفلسطين وأنَّ الهجرات اليهودية كانت خمس هجرات كما تقول كتب التاريخ، وأهم هذه الهجرات هي التى موَّلها البارون روتشلدحيث ُتدخَّل وأعدَّ مشروعًا ومخططًا كاملين لإنقاذ هذه الهجرة، وخصص مبالغ طائلة وموظفين للقيام بعملية إنقاذ للحركة الاستيطانية التي قام بها أبناء الهجرة الأولى، وكان إسهام مشروع البارون رويتشيلد على النحو التالي:

أ- قدَّم البارون مبلغًا قدره خمسة ملايين جنيه إسترليني لتنفيذ مشروعه.

ب- ساهم دعمه المالي بصورة كبيرة وفعالة في إنقاذ المستوطنات من الانهدام والتدهور.

ت- تمت عملية تنظيم النشاط الزراعي وما يلحق به من نشاطات وفعاليات، استنادًا إلى طرق حديثة وأُسس إدارية رآها البارون وموظفوه ناجحة.

الهجرة الثانية (1904–1914)

هاجر خلالها إلى فلسطين ما يقارب الـ 35 ألف مهاجر يهودي، غالبيتهم العظمى من روسيا، أما خلفيات ودوافع حصولها فهي على النحو التالي:

أ- قرار المؤتمر الصهيوني السابع لعام (1905) الذي أعلن إلغاء مشروع أوغندا.

ب- تأثير موت هرتزل المفاجىء عام (1904) على قضية اليهود وعلاقاتهم داخل المجتمعات الأوروبية ومع السلطات السياسيَّة في هذه المجتمعات نفسها.

ت- ازدياد حدّة الاضطرابات والمُضايقات ضد اليهود في روسيا بشكل خاص، وانطلاق هذه المضايقات من كيشنييف بالتحديد.

ث- دبَّ اليأس في قلوب ونفوس الشباب اليهودي بسببفشل الثورة التي حصلت في روسيا عام 1905، وليس هذا فحسب بل للجوء القيصر الروسي (نيقولاي الثاني) لاتباع أساليب الشدَّة مع اليهود وكثرة المضايقات مُتهمًا إياهم بالمشاركة الفعَّالة في الثورة المذكورة، ووقوفهم إلى جانب الثوار الساعين إلى قلب نظام الحكم وزعزعة أركان السلطة.

ج- تطوُّر طرق المواصلات والنقل إلى فلسطين، وذلك عقب مدّ شبكة من السكك الحديديَّة في أرجاء الإمبراطورية العثمانية وتحسين طرق المواصلات البرية فيها كذلك، وقد شجَّع اليهودَ هذا التطويرعلى الهجرة إلى فلسطين.

آمن أبناء هذه الهجرة بفكرة (احتلال العمل) إذ إنَّ العمل اليدوي كان مثالًا ساميًا وموجِّهًا عقائديًّا لهم، ونادوا بالعمل في مجال الزراعة لأنهم آمنوا أن الزراعة يمكنها إحداث ثورة أساسية في الفكر اليهودي البراغماتي، وأنَّ الزراعة كفيلة وحدها بإنقاذ اليهود من مرض الغربة.

ومن بين الأشخاص الذين نادوا بضرورة احتلال العمل كان (هارون دافيد غوردون) وكان الهدف من وراء هذا النداء إحلالُ اليهود مكان العمال العرب في المجالات الزراعية وتطويرها أي:اتباع

أسلوب مختلف عن أبناء الهجرة اليهودية الأولى الذين اتكلوا على العمالة العربية واعتمدوا عليها لكون أجرها أقل من مُقابلتِها اليهودية مما يساعد في توفير الأموال.

وقد عمل غوردون بنفسه في الأراضي ليكون نموذجًا ومثالًا يُحتذى به، ولخص عقيدته في: ضرورة الابتعاد عن حياة المدينة اللاهية، وأنَّ روح الانسان تنمو من خلال ارتباطه بالأرض والطبيعة، وأنَّ العمل في الأرض هو عنصر قومي أساسي من الدرجة الأولى، وأنَّ الدعوة ملحَّة إلى دعم العمل العبري ورفض العمل العربي، والتظاهر علنًا أن سبب الرفض الأساسي ليس من منطلقات قومية إنَّما من منطلقات عقائدية يهودية يؤمن بها المهاجرون أنفسهم؛ ولهذا السبب قدِم المهاجرون إلى فلسطين ليعملوا بأيديهم في الأراضي.

وانتهت هذه الهجرة عمليًّا مع بداية الحرب العالمية الثانية وفرض السلطات الانتدابية البريطانية أحكام الطوارىء بكل أنحاء فلسطين؛ لذا كانت ريم تؤمن أن

احتلال فلسطين سببه ضعف وانقسام الدولة العثمانية والعرب عمومًا، وأنَّ المقاومة إثباتٌ أنَّ هناك المزيد من العرب بعد يمكنهم قلب الدفَّة والانتصار على العدو يومًا ما، أما هي فكان شغلها الشاغل قضية عمرها (إثبات نسبها لأسرة المصري) لعلها تشعر يومًا ما بالسلام النفسي الذي تسعى إليه.

***

القاهرة/ مباحث أمن الدولة

جلس المحقق يطالع ملفًا ما في يده باهتمامٍ بالغ، وبمرور بعض الوقت انتهى واسترخىبمقعده ينظر للملف المكتوب عليه (حسام أحمد شوقي المصري) ثم طُرق الباب ودخل أحد رجاله.

الرجل: جناب الباشا، استدعيتني!

المحقق: نعم، اجلب لي حسام المصري من الحجز.

الرجل:عُلِم وينفذ.

انصرف ولم تمر دقيقة حتى دخل إلى المكتب وأمامه حسام مكبل اليدين، وعلامات إرهاق تبدو على وجهه من أثر الحبس.

المحقق: ها، كيف الحال الآن يا حسام؟ أأعجبتك الإقامة في الحجز؟ نعلم أنه ليس على قدر المقام السامي، ولكنه المتاح الآن.

حسام بسخرية: لا تشغل بالك بمثل هذه الأمور أيها المحقق؛ اعتدت على هذا النوع من الإقامة.

المحقق: حقًّا! من خلال قراءة ملفك بدأت أسأل نفسي: متى كنتَ حرًّا؟ أغلب سنين عمرك قضيتها محتجزًا في المعتقلات.

ثم نظربالملف مُقلبًا إياه بين يديه بينما حسام ينظر إليه في ضجر.

المحقق: اممم، حقًا أنا لا أعرف ما أصابك، إنَّ أباك رجلٌ من كبار رجال الأعمال الوطنيين، تبرعاته لصالح البلاد لاحصر لها، نموذجٌ يحتذى به، وأخاك كذلك من شباب رجال الأعمال الواعدين، أما أنت فلا أعرف لموقفك تفسيرًا.

حسام: ليست قاعدة أن يكون والدي من رجال الأعمال الوطنيين فأصبح ظلًّا له، ألا يجوز أن أكون من النُّشطاء السياسيين!

من المفترض أنني وطنيٌّ أيضًا، ولكن من منظور مختلف لا تؤمنون به.

المحقق: كيف؟! هي فلسفةٌ جديدة تتبعونها.
حسام بحدة: ألا يصلح أن يكون المرء وطنيًّا في نظركم إلا لو غضَّ البصر عن أخطاء الحكومة وسياستها، تريدوننا أن

نصمت دون إبداء أي رأي، وكأنكم من تمتلكون خبرات الدنيا في السياسة والحكم ونحن أطفالٌ سذج.

المحقق: وهل من اللائق ضرب اثنين من رجال الأمن وإصابتِهم لدرجة أدت لتحويلهملمسشفى الشرطة.

حسام: لا، لكن من اللائق أن يقوموا بدفعي وضربي أمام الزملاء في الجمعية! كان يكفيهم إخباري وكنت سآتي معهم بكل هدوء، ولكن هذا ما شبوا عليه؛ لذا كان من الضرورى أن يشعروا بالاختلاف ولو قليلًا، التغيير مطلوب أيضًا في الحياة.

المحقق: الاعتداء على موظفين حكوميين أثناء تأدية عملهم أصبح من الوطنية الآن!

حسام: الاعتداء!

وهل من الطبيعي اقتياد شخص ما للتحقيق بالضرب والصفع والركل؟!

المحقق: قالوا أنك قاومتهم.

حسام: إذًا، نفرغ كاميرات المراقبة ونضيف تسجيلاتها رسميًّا للتحقيقات.

المحقق بغضب: ماذا تريد أن تُثبت تحديدًا؟

حسام: بل ماذا تريدون أنتم مني؟

المحقق: أن تكُفَّ عن تأليب العمال والفقراء على الدولة، ولو شئت ممارسة السياسة انضمَّ لحزبٍ ما ومارس السياسة فيإطارها الشرعي.

حسام بسخرية: أية أحزاب تقصد! تلك الأحزاب التى قمتم بتهجينها حتى تُبارِك كل خطوة تخطونها، لقد خرجت هذه الأحزاب عن دورها الرئيسي وهي مراقبة أعمال الحكومة وسياستها إلى التهليل لقرارتها، وبالتالي تمرير أي قرار تتخذُه الدولة.

المُحقق: هل تنكرُ أن هناك تطورات جذرية في مصر بالآونة الأخيرة، القضاء على العشوائيات، المدن الجديدة، منظومة التأمين الصحي، حياة كريمة، تكافل وكرامة.نحن نجتهد لإقامة

دولة وجمهورية جديدة على أسس علمية من أجل راحة المواطن.

حسام بإصرار: ومن سبل راحة المواطن أن يُصرح بما يدور برأسه لا أن يكتمه خوفًا من رد فعل الدولة تجاهه.

المحقق: لو تبدَّلت الأدوار ثق تمام الثقة أنك ستتخذ نفس قرارات الدولة، كما يقول العامة "الواقف على البحر سبَّاح." كلٌّ منا في قرارة نفسه يعتقد أن رأيه صائب ولكن على أرض الواقع وحينما يواجه العقبات تتغير نظرته للأمور.

حسام: "كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته."

المحقق: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ماذا إن كانت الرعية تتزايد لتصير كما قال الرسول الكريم أيضًا "غثاء سيل" لا فائدة من كثرتها، تأكل الأخضر واليابس، ماذا سيكون الحل إذًا؟

حسام بسخرية: دفعة جديدة من المحققين أنت! منذ متى تتحدثون بلغة الدين؟ أليس التحدُّث بالدين تطرفًا عندكم.

المحقق: ولمَ لا تقول إنَّ من يحدثك إنسانٌ بسيط يحب هذا

الوطن مثلك بل وأكثر، لاحظ أنني لم أكتب كلمة واحدة عنك بعد.

حسام بجدية: هل انتهيت؟

همَّ المحقق بالإجابة إلا إنَّ الباب طرق، ثم فُتح بواسطةآ خر من كان حسام يتوقع رؤيته.

في الخارج توجه حسام بصحبة رجل خمسيني وقور تبدو عليه علامات المهابة وغزا الشيب فوديه إلى سيارة ضخمه من سيارات الدفع الرباعي، أشار لحسام بالركوب ليركب، ثم تبعه الرجل وانطلقَت السيارة بإشارة للسائق.

الرجل بسخرية: حمدًا لله على سلامتك يا حسام، أتعشم أن تكون نفسك قد هدأت بعد أن ساهمت مجددًا في تدمير سمعة العائلة كالعادة.

حسام بغضب: كفَّ عن السخرية يا أحمد بك، لست في مزاجٍ رائق إن سمحت لي.

الرجل: ألا تعرف كلمة أبي!

كان الرجل هوأحمد شوقي المصري، والد حسام بنفسه.

حسام بضيق: آسف يا أبي، إن كنت ستلقي عليَّ اللوم فانتظر قليلًا حتى ألتقط أنفاسيوأخرِج من صدري هواء الزنزانة، وأستنشق هواء الحرية.

أحمد بحدة: ما كنت ستنعم بهذه اللحظات لولا تدخلي لحل الأمر مع السلطات، إلى متى ستظل مصرًّا على ليِّ عنقي أمامهم.

حسام: وإلى متى ستظل أنت مصرًّا على إقحام السياسة فى أعمالنا؟

أحمد: السياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة يا بني، إن منافسينا كثر، وأغلبُهم يتمنى ألا تقوم لنا قائمة، وأنت تُصبِحُ تدريجيًّا نقطة الضعف في هذا الكيان بأفعالك هذه، ألم أفتتح لك جمعية شرعية من أجل أن تكمل إصلاحاتك الاجتماعية وإكمال رسالتك في المجتمع والعناية بالفقراء؟

حسام: إن هي إلا بضعُ قطراتٍ من بحر، لا تغني من جوع ولا تُسمن من خوف، تلقونها للفقراء لتريحوا ضمائركم المُثقلة بالذنوب تجاههم.

أحمد: لن أجادلك؛ ففى النهاية لا قيمة للجدال مع معتنقي هذه الأفكار العقيمة، أمك وإخوتك ينتظرونك على أحرّ من الجمر في بنها.

حسام: حسنًا، هناك زيارة أودُّ القيام بها، ثم سألحق بكم إلى المنزل.

أحمد ببرود: إلى أين؟ زيارة أخرى إليها، أليس كذلك؟!

ثم تابع بحدَّة: تبًّا لتلك العجوز الخرفةالتي ستُميتنا جميعًا وتبقى هي.

حسام: العجوز الخرفة! أليست هذه العجوز في مقام الجدة الكبرى للعائلةوالبركة التي يرحمنا بها الله من سخطه وغضبه؟

أحمد: ولكنها هي وأحفادها يودُّون أن يرثونا أحياءً.

حسام بإصرار: هي أموالهم أيضًا بنهاية المطاف، حقيقةٌ لا نحيد عنها وإلا ما استمرينا في مساعدتهم وفقًا لوصايا جدي.

أحمد: بل هي حق أصيلٌ لنا منذ البداية، جدك الأكبر كان السبب الرئيسي في زيادة رقعة هذه الأرض، هو من عمل منذ نعومة

أظافره وتحمَّل نفقات إصلاحها مع والده، ثم أتى والده وقرر توزيع التركة وهكذا وجد جدك الأكبر أن نصف الأرض فقط هو ما نالهوالنصف الثاني ذهب لأخيه الأصغر الذي كان لا يُحسن أعمال الفلاحة وكان مهتمًّا بتعليمه الأزهري، كان ظلمًا بيّنًا دون أي تقدير لدوره في رعايتها وزيادة رقعتها من فدان واحد لعشرة فدادين؛ لذا حين مات أخوه الأصغر وترك أولاده قام هو - بصفته العمدة- بترحيلهم للقتال مع الإنجليز إبَّان الحرب العالمية الأولى، وبهذا ضمن أنهم ذاهبون لرحلة ذهاب بلا عودة، وبالتالي أصبح هو المتحكم في الأراضي كلها لولا الزهراء (فاطمة الزهراء) الفتاة التى كانت صغيرةً وقتها، ولم تستطع مقاومة العم الذي زوَّجها مُبكرًا بعد أن مَاتت أمُّها بحسرتها على إخوتها، والجد والعائلة.

أحمد: ونحنُ لم نقصر معها ولا مع أسلافها طوال هذه السنوات الطويلة.

حسام: نلقي لهم الفتات وبكل قسوة وغلظة.

أحمد: هذا عهدنا منذ الأزل، لا نغيره ولا مساس به، لولانا لكانوا يتضورون جوعًا.

حسام: يا له من منطقٍ بغيض، لو كانوا يمتلكون صكوك ملكية لتغيَّر الوضع وانقلبت الدفَّة.

أحمد: لو ...مجرد كلمة لا وزن لها، فى النهاية فالزهراء مادامت تنعم بالحياة ستظل مسؤولة منَّا هي وأهل بيتها، هذا ما نستطيع فعله.

خاطب حسام السائق: لا تنس يا فتحي، منزل الزهراء في طريقك.

فمطَّ أحمد شفتيه غيظًا.

***

غزة - منزل إياد

بعد عدة أسابيع دخل إياد شرفة المنزل مُنهكًا لتتلقاه حسنة بكوب من الماء البارد يُخفف عنه هذا القيظ, ان اجراءات الخروج من فلسطين مع تدقيق قوات الاحتلال ليس أمراَ سهلاً للأسف والموافقات الأمنية علي هذا الخروج من الجانب المصري علي معبر رفح تأخذ أياما طويلة حتي يتحقق المراد , وتقل هذه الأمور كثيراَ في حالة المسافرين المرضي الذي يسارع الجانب المصري فى تسهيل دخولهم البلاد.

لذا كان من الطبيعي أن يدخل اياد الي المنزل وبرتمي علي أقرب كرسي قابله .

حسنة: يبدو أنَّ اليوم كان شاقًّا عليك يا إياد.

إياد:إجراءات السفر إلى مصر معقدة، والتصاريح كثيرة، والموافقات الأمنية أكثر.

حسنة بضيق: فليرحمنا الله من هذه العقبات التي لا تنتهي!

إياد متسائِلًا: أين ريم؟

حسنة: في الغرفة، تجهز أغراضها للسفر.

ارتسمت نظرة أسف مشوبةً بالحزن على وجه إياد.

إياد: لماذايا ريم؟ كنت أعتقد أن القدر يجمعنا من جديد معًا، ولكن يبدو أن له تصاريف أخرى.

ربَّتت حسنة على كتفه برفق مواسيةً إيَّاه، وقالت: إياد، يعلم الله كم أرغب أنا الأخرى بهذا الأمر، ولكن في النهاية هي قلوبٌ بين يدي الله، إن شاء أن يُقربها قربها وإن شاء البعد فليكن بُعدًا، لا دَخل لنا في هذا الأمر، وفي النهاية قد يدخر الله لك ما هو أفضل.

إياد: ونعم بالله، ولكن لى قلبٌ يهفو إليها، وليس لي عليه لا أمرٌ ولا نهي.

حسنة: إذًا اعقلها وتوكل يا أخي، وأفصح لها عن مكنون قلبك واترك لها القرار.

إياد: ربما ليس الآن، الوقت المناسب لم يأتِ بعد، ريم تمر بمرحلة ارتباك في حياتها وستعجزُ تمامًا عن اتخاذ أية

قرارات، ولن أكون أنانيًّا وأزيد الضغوط عليها، فقط استدعِها الآن لتعرف مستجدات الأمور.

حسنة: كما تريد يا أخي.

ثم نادت عليها: ريم! يا ريم! أقبِلي يا حسناء غزة.

لتخرج ريم من الغرفة هادئة.

ريم: حسناءَ غزة! جبر الله بخاطرك دومًا يا أختاه، حسناء غزة أصبحت من الماضي الآن بعد ما مرت به.

حسنة: ستبقين حسناء غزة إلى الأبد، وستظلين صامدةً يا فتاة، لسنا من هذا الطراز من الفتيات الذي يُنهر عند أول مأساة، ليس أقل من قذيفة (دبابة ميركافا) تصيبنا وحفنة من الرصاص المطاطي حتى نشعر أن هناك خطبًا ما، وأنَّ الأمور ليست على ما يرام.

تَعالت ضحكات ريم رغمًا عنها وشاركها إياد الضحك.

إياد: وها قد أفلحت حسنة في رسم بسمةٍ على وجهك يا ريم.
حسنة: حمدًا لله، كنت أظنها لن تبتسم إلى الأبد، سأذهبُإلى

المطبخ فيبدو أنَّ الطعام قد احترق أو أوشك على الاحتراق، وسنأكُله في جميع الأحوال فلا مجال لرمي الطعام هنا.وانصرفت حسنة.

ريم: أجدَّ جديد يا إياد؟

إياد: نعم يا ريم، بأقل من أسبوع ستنتقلين إلى مصر، انتهى أمر الموافقات الأمنية، والمدة المسموحة لكِ بالبقاء قبل انتهاء الإقامة هي خمسة أشهر، والرفاق في حماس يبلغونك السلام ويقولون لكِأنهم لا ينسون دور أبيك الراحل في النضال؛ لذا ستكون هناك دومًا وسيلة اتصال مفتوحة كل الوقت إن ضاقت بكِ الأمور.

ريم: ولا أنسى دورهم في جمع المعلومات عن عائلتي، أفادوني كثيرًا، بارك الله فيهم.

ثم صمتَت قليلًا وعَاودت الحديث: إياد!

إياد: نعم ياريم.

ريم: هل لي أن أشكرك؟

إياد:على ماذا يا ريم؟

ريم: على كل شيء يا إياد، المأوى والأمان والدعم، والأمل الذي دومًا تزرعُه في ثنايا نفسي.

إياد: لا أنتظر شكرًا يا ريم، هذا واجبي لا أكثر ولا أقل، فقط أرجو منكِ أن تحذري، لا أعرف ما تحمله الأيام القادمة.

تنهَّدت ريم ثم تكلَّمت: لن يكون أسوء مما جرى لي بالأيام الماضية.

إياد: كل ما يأتي به الله خير إن شاء الله، عند رجوعك إن شاء الله ستجدين البيت قد بني مجددًا خلال إعادة الإعمار، إنَّ الشركات المصرية تعمل على قدمٍ وساق لإعمار غزة.

ريم: حمدًا لله، وحينما يُبنى البيت من سيقوم بإعماره مات كل الأحبة ولم يبق إلا أنا.

إياد: وأنا! ألا أعني لكِ شيئًا يا ريم؟

ريم دامعة: إياد، صدقني لا أعرف ما أقول، ولا أريدُ اتخاذ قرار لا أدرك عواقبه، أشعر يا إياد، لست أداة عديمة المشاعر،

ولي قلبٌ ينبض أيضًا، ولكن دع هذه الأمور تتشكَّل برفق، لسنا على عجلةٍ من أمرنا.

إياد: فليتولانا الله بأمره يا ريم.

ريم:لنا لقاءٌ قريب يا صديق.

***

الفصل الثالث

القاهرة ترحب بكم

بنها العسل، الفيلات، منزل أحمد شوقي المصري

ارتفعت الأصوات بالقهقة في هذا الحفل الصاخب بالعيد السنوي للشركة والذي يُوافق ذكرى ميلاد رانيا شوقي وسط حضور من علية القوم، واتَّسم الحفل بالبذخ الشديد، وبدت سيدة المجتمع هناء المشتولي(زوجة أحمد شوقي، ووالدة حسام) متألقةً وسط سيدات المجتمع الراقي بثوبها الأسود الذى تزينه مشغولات ذهبية غاية في الروعة، وانعكست الأضواءُ المتألقة على صفحة فرع نهر النيل في بنها.

في الوقت نفسه كانت رانيا (الابنة الصغرى للعائلة) تجلسُ محاطةً ببعض الفتيات اللاتى تظهرن دائمًا في كل حفل، وتبدون كديكور مصطنع مُعد مسبقًا في مشهدٍ لا يخلو من فجاجة واضحة، أمَّا أحمد شوقي نفسه فعلى الرغم من كبر سنه كان ينتقلُ كالفراشة من مائدةٍإلى أخرى، يداعبُ هذا،يضحك لتلك، ويبرمُ اتفاقيات سريعةٍ هنا وهناك، وترمومتر مكاسبه يرتفع ارتفاعًا هائلًا ينمُّ عن عقليته التجارية الفريدة، ووسط هذا الهرج والمرج كان هناك شابٌّ وسيمٌآخر يتجه بخطواتٍ سريعة

لنهاية حديقة القصر بحثًا عن شخصٍ يجلس هناك منفردًا مُوليًا ظهره لهذا السيرك، وصل إليه وربَّت على كتفه.

الشاب: حسنًا، كما توقعت، ها أنت هنا، أخي الأكبر الذى يكره الرَّسميات.

التفت حسام له بشوق ولهفه، وهبَّ لمعانقته.

حسام: عصام! متى وصلت من الخارج؟

كان الشاب (عصام المصري) شقيق حسام الذي بادله العناق.

عصام: منذ ساعاتٍ قليلة، لم أجدك، أخبروني أنَّك توزع الذبائح على موظفي الشركة والمكافآتكعادتك، لم تتغير.

حسام بإصرار: ولن أتغير يا أخي، هذا أنا، لا أجد راحتيإلا وسط هذه الفئة، هم لا يعرفون كذبًا ولا نفاقًا ولا رياءً كأغلب من يحيطون بنا.

عصام: أقدر هذا، ولكن لغة المصالح الواقعية هي التي تفرض هذا النمط من المعيشة علينا، ولا شك أنَّ لها جدواها بجلب

الأموال للشركة، ومن ثمَّ دفع رواتب عمال وموظفي الشركة والمصانع.

أتت رانيا شقيقتُهما من بعيد.

رانيا: ها هما رجلاي، أدام الله وجودكما في هذه الحياة!

جلسواسويًّا، ولم يعيروا الحفل انتباهًا.

حسام: يكفينا صخبك أنتِ ورفاق النادي يا رانيا.

رانيا: رفاق النادي!

حسنًا، وفتيات النادي اللاتي لاتهتمُّ بهن وكأنهن سراب، كيف هانوا عليك؟!

حسام ضاحكًا: هذا الطراز من الفتيات لا أليق بهنَّ ولا يلقن بي، زمرة من التافهات لا تتحمَّلن مسئولية بيت أو حتى تربية طفل،تمامًا مثلك.

رانيا بغضب: يا لك من شقيق! لو كانت لي رفاهية الاختيار فلن أختارك شقيقًا يا منجم الحجر المتحرك.

حسام: من ستختارين إذًا؟

رانيا: ربما كنت سأختار هاني سلامة مثلًا.

اقترب منها وعانقها،أخرج من جيبه علبة مجوهرات صغيرة تحوي خاتمًا باهظ الثمن، فتحها أمامها برشاقة، وقال: والآن؟

رانيا بفرح: ربما أفكر في أمر اختيار هانى سلامة قليلًا.

ضحك عصام وردّ: أيتها الشقية، متقلبة العواطف والمبادىء.

رانيا: مازلت لم أر منك شيئًا بعد يا أخي.

عصام: آه، ابنة أبيها وأمها.

وارتفع صوت أمهم من الخلف فجأة متسائلة: أهُناك من يتحدثُ عني ها هنا؟

لتسرع رانيا إليها وتريها الهدية: انظري ياأماه، هدية حسام.

هناء وهي تُقلب الخاتم بيديها: يا للذوق الرفيع!

تقدمت كثيرًا يا ولد، والآن هيا معي جميعًا إلى الحفلة، الجميع ينتظرون لإطفاء الشموع.

ثم نظرت لحسام وقالت: أما أنت فلى معك حديثٌ آخر.

هزَّ حسام كتفيه بلا مبالاة وانصرف.

هناء: يالك من مكابر يا ولدي! هيَّا بنا!

على الجانب الآخر جلس تحسين وعادل وأحمد يتناقشون عن آخر صفقات المجموعة المُزمع إجراؤها، اشتدَّ الحوار قليلًا حتى شعر كل من مرَّ بهم أنهم فيخضمِّ شجارٍ وجدال كبير أنهاه أحمد بإشارةٍ من يده.

أحمد: قُضِى الأمر، سيتم بيع مصنع الأغذية بمنشأته، بأرضه المحيطة به، بالمخازن، الصفقة الجديدة التينتجهَّز لإجرائها يجب أن نوفر لها أكبر قدر من السيولة المالية.

عادل: سيؤثر هذا كثيرًا على أسهمنا في الأسواق، وستكونُ خسارةً فادحة إن لم ينجح هذا المخطط.

تحسين: يجب التَّروي في الأمر يا أحمد، إنها مغامرةٌ كبيرة يجبُ أن ندرس عواقبها جيدًا.

أحمد بغضب: لماذا؟ أتخشون غضبة العمال؟!

كلٌّ منهم سيحصل على تعويض ضخم وتوصية بفرصة عمل في مصانع أخرى.

عادل: المشكلة ليست العمال وحدهم، هناكقطاعٌ منهم ينتمى للعائلة، وسيمثلون شوكة في ظهورنا؛ فنحنُ نتكفَّل بهم وبعائلاتهم كما تكفَّل أجدادنا من قبل، هذا عرفٌ وإرثٌ عائلي.

أحمد بإصرار: يكفي يا عادل، إنَّ الصفقة لن يقل ربحُها عن خمس مليارات جنيه، وخلال ثلاثة سنوات على الأكثر سنحظى بمكانةٍ أخرى، تخيَّلوا معي شراء أكبر مجمع للحديد والصلب بخطوط إنتاجٍ كاملة، وتغيير (كارير) الشركة بالكامل لتصبح قلعةً من قلاع الصناعة. إنَّ غالبية أرض المصنع من ميراث العائلة، والباقيآل إلينا في التسعينيَّات بواسطة قانون الخصخصة.

عادل: وحينما يتم طرح المصنع والأراضي بالمزاد العلنيونُسأل عن صكوك الملكية، ماذا سنقول وقتها؟ أنها وصلت إلينا بوضع اليد! أنت تعرف أن حصَّتنا الفعليَّة من هذه الأراضي والمصنع ما يقارب الربع فقط يا أحمد.

أحمد: ومن سيسأل؟ سنقدم عقودنا نحن، وعقود شراء (الخصخصة) من الدولة.

تحسين: حقًّا! إن هذا الأمر أكل عليه الدهر وشرب، ولكنك لم تخبرنيبجنسية مستثمري المشروع الجديد.

أحمد بتوتر: جنسياتهم متعددَّة، لا يهم من أين أتوا بل الآن أرباحنا المتوقعة من هذه الشراكة الجديدة.

عادل: حسنًا كما ترى، في النهاية ليس أمامنا إلا انتظارُ المزاد وبعدها لكل مقام مقال، واعلم أننا لن نسمح بالمجازفة والمخاطرة، إن ثروتنا هي الأخرى جزء من المصنع والأراضي.

أحمد بسخرية: منذ متى وأنت تحمل همًّا لإرث أو أموال! أعتقد أن حساب كل منكما البنكي يحوي مبلغًا يسيل له اللعاب بخلاف ما تدَّخرانه من عمولات خفية من عملاء الشركة، وتظنان أنني لا أعرف بها.

تحسين بارتباك: لا تتهمنا ظلمًا يا أخي، نحن فقط.. قاطعه عادل بقسوة: اصمت يا تحسين، لا داعي للإنكار، نعم

يا أحمد، ندخر الكثير من خلفك وأنا أعلم تمام العلم أنك تعلم، ولكن منذ متى أصلًا كنت تستشير أيًّا منا بأي قرار يخص الشركة، كنا دائما نتلقى الخبر كالموظفين، وكنت تقدم لنا في نهاية العام كشفًا حسابيًّا يعلم الله فقط صحة ما يحمله من أرقام، وزد على هذا أن لناأعمالنا الخاصة أيضًا فلا أحد منا يعلم إلى أين ستؤول الأمور معك مستقبلًا.

أحمد ببرود: حسنًا يا أخي، لن أجادلك كثيرًا، موعد المزاد بعد أسبوعين من الآن، فلنستعد جميعًا.

***

بنها العسل - منزل الزهراء

دخل خالد حفيد الزهراء من ابنها الأكبر محمود إلى غرفة جدته فوجدها تصلي كما هي العادة، انتظرها حتى فرغت من صلاتها، ثمَّ انحنى يُقبل يدها فأخذت هي برأسه تقبلها.

خالد: جدتي، كيف حالكِ يا سليلة الأشراف؟

الزهراء: بخير يا ولدي، كيف حالك أنت؟

خالد بهمٍّ وحزن: الحمد لله على كل حال!

نظرت إليه الزهراء بقلق: خيرًا يا ولدي، تكسو ملامحك الهموم، أجدَّ جديد؟

خالد: سيطرحون الشركة والمصنع للبيع في المزاد العلني، ويجعلوننا الآن ندبر أمور المعاش.

الزهراء بألم: ويلي! أملاكنا ستذهب للأبد، ألا لعنة الله على نسل عبد العظيم مهنا، في بادىء الأمر يسرقُ جدُّهم أبي، واليوم يكملون ما بدأه جدهم.

خالد: لم يعد فينا من حول ولا قوة للتصدِّي لهم، جاوزت الستين وأبي جاوز التسعين الآن ومرضه يؤلمه، وأنتِ.

ثم قطع كلامه مُحرجًا.

الزهراء: قُلها ياولدي، عجوز كبيرة لامنفعة منها، أتعرف، أحيانًا أشعر أن طول العمر هذا لعنة، تكبُر وتشيخ وترى من حولك يكبُرون ويمرضون ويموتون أمام عينيك فلا تملك لهم من أمرك لا ضرًّا ولا نفعًا.

ضحك خالد ليخفف حدَّة الموقف وتابع: من قال هذا؟! تمَّ تسجيلك بموسوعة جينيس للأرقام القياسية باعتبارك أكبر معمرة في مصر، ولولا مبلغ التسجيل ما كنَّا بنينا هذا البيت الذي كاد ينهدمُ فوقنا، وما كان عز الدين المصري- رحمه الله- قد توصل إليكِ عندما شاهد الحلقة.

الزهراء: كان هذا قبل ظهور عباسة محمد أحمد، وهذه بلغت 135 عام، أخيرًا وجدتُ من هي أكبر مني سنًّا.

ضحِكا سويًّا على المفارقة، ثم دمعت عينا الزهراء.

الزهراء: آه يا وجع البعاد، رحمة الله عليك يا عز الدين! يومها تواصل معك ورأيته عبر اتصال فيديو وحادثنى عدة مرات، كانت مفاجأةً لي حينما علمتُ بوجود صكوك الملكية الأصلية معه، ولكن بعد ضرب غزة وتهدُّم البيت ذهب الأمل بلا رجعة.

خالد: الأمل يحيا بداخلنا إلى الأبد، ربما هناك مالم نعرفه بعد، الأيام تحمل الكثير دومًا.

الزهراء: أتعرف، لقد دفنتُ بيدي ثلاثة من أعمامك وعماتك ولم يتبق لي إلا محمودأبوك، وأولاد أعمامك، أنتم السند والجدار المتبقي لي في هذه الدُّنيا.

خالد بقلق: أقصرنا يا أماه؟ لو أن هناك تقصيرًا من زوجتي سوف .

لتقاطعه الزهراء بوهن: لا، إنَّ الجميع هنا في خدمتي، لله درهم! لاتقلق على الزهراء، قديمًا، أثناء العدوان الثلاثي وخلال العمل في التمريض دعا لي أحدهم يومًا دعوةً لم أعرف معناها إلا الآن، ألا وهي: اللهم ارزق أمتك فاطمة الزهراء الصحة على قدر العمر!

وها أنا قد بلغت من الكبر عتيًّا وأستطيع تلبية حاجاتى الشخصية دون معاونة من أحد ولله الحمد، بالمناسبة ما أخبار كورونا؟ أما زال الناس يموتون؟

خالد: قامت الدولة بتوفير المصل واللقاح بكثرة، وأظننا سنتجاوز الأمر إن شاء الله.

الزهراء: ومحمود، شيخي الصغير.

خالد: أبي! لا تقلقي يا جدتي، سيحيا وسيُميتنا نحن، وسنزوجه قريبًا حينما يمنُّ الله علينا بالشفاء.

لتضحك الزهراء وتقول: إن بحثت عن الحق لوجدتُك أنت من يسعى للزواج.

خالد: حينما أصبح مليونيرًا مثل قريبنا أحمد شوقي قريبنا ربَّما أفعلها فهو لايقف عند حد عدم الاكتفاء بزوجته، بل مازال يواصل خيانتها من آنٍ لآخر.

أشاحت بيدها وقالت: فليهده الله!

***

الفصل الرابع

العاصفة

جامعة القاهرة كلية الآداب

تراصَّ الطلاب أمام المحاضر د. محمود المصري أحد أهم أساتذة التاريخ في مصر للاستماع بشغف للمحاضرة،- وكان رغم تجاوزه التسعين - لا يستطيع إهمال هذه المحاضرة الشهرية كخدمة منه للجامعة التي خرج منها مُحالًا للمعاش منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وقتها كان يشعر أنه مازالت هناك فائدة منه في هذه الدنيا، كان الطلاب بدورهم يستمعون ويتسابقون للحضور سواء من كلية الآداب أوغيرها لروعة ما يُقدمه، نظر إليهم قليلًا، ثمَّ جلس على كرسيه بهدوء وبدأ التحدُّث: حديثُنا اليوم سيكون عن فصلٍ مهم من فصول التاريخ يا أولادي،ألا وهو الهولوكوست (مذابح الألمان ضد اليهود) واليوم سنتكلم بالقول الفصل في هذه المسألة، هنا أطلق الطُّلاب صافرات تشجيع وحماسة، وأخرج معظمهم الهواتف الجوَّالة لتسجيل هذه المحاضرة التاريخية؛ فهي فرصة لن تتكرر كثيرًا.

أشار لهم أن يلتزموا بالهدوء ليُكمل.

د محمود: لا شك أنه مع ظهور الفكر الإلحادي المادي وخرافات التطور منذ أواخر القرن التاسع عشر وأواسط القرن

العشرين ظهرت أنواع من جرائم الحروب، والإبادات الجماعية، والقتل العشوائي للمدنيين العُزَّل لم يشهد لها التاريخ مثيلًاحيث تقول سجلات وكتب التاريخ يا أولادى إنه تم حصد أرواح عشرات الملايين من المدنيين أطفالًا ونساءً وشيوخًا ورجالًا ممَّن لم يحملوا سلاحًا، وإنَّما تم قتلهم بأبشع الطرق والأسلحة فقط بسبب جنسيتهم أو مكانهم أو قوميتهم، ومن أشهر تلك الجرائم ما فعلته الشيوعية والاشتراكية في آسيا وأوروبا وأمريكا الجنوبية بحق المؤمنين - سواء مسلمين أو حتى نصارى- ثم النازية في ألمانيا

وهلم جرا، واعتمدَ هتلر في إجرامه على ما تعلمه من (داروين) وخرافاته عن (تطور الإنسان) حيث صرَّح داروين في كتابه (أصل الإنسان) بتفوق الجنس الأوروبي (الرجل الأبيض) على باقي أجناس الأرض وخصوصًا السكان الأصليين لقارات أستراليا والأمريكتين (الهنود الحمر وغيرهم) وكذا الزنوج في أفريقيا، ونظر إليهم على أنهم للحيوانات أقرب، وأنَّ حروبًا لإبادتهم والصراع معهم يجب أن تُقام!

لذلك يرى البعض أنه تم استخدام هذه الأفكار والكتابات فيما

يخدم اتجاهات الحزب النازي بعد وصوله للسلطة في إقصاء والقضاء على كل مَن يراه يستحق الاستبعاد من الشريحة المجتمعية التي كان يُعلن عنها وعن حلمه لتكوينها (الإنسان الألماني كممثل لأعلى درجة التطور)وهنا يا أولادى كانت الكارثة.

توقَّف يلتقط أنفاسه ليكمل: كان(اليهود) ممَّن صاروا ضحايا لهذا الفكر نظرًالسمعتهم السيئة في أوروبا منذ مئات السنين واعتبارهم أكبر وأكثر الفئات جشعًا وتسلطًا؛ ولهذا كانت تضطهدهم أغلب الدول الأوروبية وتطردهم من مكان لآخر أو تجعلهم يعيشون في أحياء بعيدة ومنعزلة في بعض الدول، ولعل بعضكم سمع أو قرأ عن رواية (تاجر البندقية) الشهيرة The Merchant of Venice لـ (وليم شكسبير) الصادرة عام 1598 وعرفتم وصفه للتاجر اليهودي الجشع (شيلوك) الذي رضي أن يأخذ باقي ماله عن طريق قطع رطل من لحم (أنطونيو)!

حسنًا، في النهاية وجدنا الآتي بعد البحث والتدقيق التاريخي:

1- لا يهمنا كثيرًا إثبات جرائم النازية وهتلر؛ فهي أظهر من أن يتم إخفاؤها ولكن المهم هنا هو إظهار أنَّ (اليهود) لم يكونوا الوحيدين الَّذين تعرضوا للقتل على يد النازيين في تلك الفترة، وذلك لأن معسكرات الاعتقال النازية الأولى كانت مُخصَّصةً للشيوعيين الألمان الذين كان هتلر يكرهُهم أكثر من كراهيته لليهود حتى أن زعيم الشيوعيين الألمان (تالمان) كان على رأس أحد هذه المعتقلات، وكانمن بين ضحاياهم البولنديون وأسرى الحرب والغجر،وشهود يهوه، والمرضى، والمعاقون، والشَّواذ جنسيًّا، والبولونيون وغيرهم..

ثم قهقه بسخرية: لكن كل أولئك لم يحظوا بما حظي به اليهود (الذراع الأكبر لتسيير أمريكا وأوروبا اليوم) سواء بإنشاء أكثر من نصب تذكاري وخصوصًا في أمريكا، واشنطن، نيويورك، لوس أنجلوس وغيرها،أو بالأفلام السينمائية عالية الجودة من ناحية الإخراج والإنتاج والتصوير والتمثيل، وعلى رأسها كوكبة من المخرجين والممثلين اليهود مثل: ستيفن سبيلبرج، والتي تدفع المشاهد دفعًا - مهما كانت ديانته أو عقيدته - للتعاطف مع اليهود والبكاء لهم وعليهم مثل: فيلم (قائمة شندلر)

و(إنقاذ الجندي رايان) والفيلم الإيطالي (الحياة جميلة) وكذلك (عازف البيانو) و(القارئ).

2-تزعم قصة الهولوكوست (وتعني المحرقة الكبرى Holocaust والتي تماثل حرق القربان الأكبر في بعض الطقوس) أنه كانت هناك الكثير من غرف الغاز في أماكن لم يتم العثور على أدلة كافية أنها كانت غرف غاز ومحارق!

ملحوظة: انتشرت كلمة الهولوكوست في ستينيَّات القرن الماضي وخصوصًا مع صدور فيلم بنفس الاسم؛ للتأثير الإعلامي على الشعوب ونشر القصة ولو بدون أدلة!

العجيب أنه في يوم 16 نوفمبر 2005 تم ترحيل عالم الكيمياء الألماني (غيرمان رودولف) من أمريكا إلى ألمانيا ليواجه حكمًا بالسجن لمدة 14 شهر بسبب ورقة علمية كتبها عام 1995 أثبت فيها أن بقايا غاز (ZYKLON) الذي يفترض أنه استخدم ضد اليهود في معسكر (أوشفيتز) غير موجودة أبدًا.

لاحظوا: السجن لأكثر من عام؛ لأنه (فقط) أقرَّ بعدم وجود آثار للغاز بواسطة ورقة علمية.

3-التضخيم الإعلامي المتعمد للتهويل من معسكرات الاعتقال ومعسكرات الموت، وقد اتَّضح فيما بعد استخدامه لوحدات إنتاجية ضخمة لدعم صناعات الحرب، وأنَّ أكبر مُعتقلٍ أثير حوله جدلٌ كبير (وهو معسكر أوشوتز) قد تمت السيطرة عليه لأول مرة من قِبل القوات السوفيتية التي لم تسمح لأيَّة جهة محايدةبدخولها لمدة 10 سنوات، حيث يعتقدُ أن الاتحاد السوفيتي قام بتغيير ملامح المعسكر خلال هذه السنوات العشر، وأنه لم يكن يوجد على الإطلاق ماتمَّ تسميته بمستودعات الغاز التي كان اليهود يوضعون فيها بالآلاف لغرض تسميمهم وإنَّما كانت هناك غرفٌ صغيرة لغرض تصنيع مبيدات الحشرات والآفات الزراعية، وكان هناك بالفعل عددٌ من المحارق في تلك المعسكرات، ولكنها كانت لغرض حرق جثث الذين ماتوا بمرض التيفوئيد الذي انتشر في السنوات الأخيرة من الحرب نتيجة نقص الخدمات الطبية بسبب انهيار البنية التحتية الألمانية، وبالتالي فإنه من غير المعقول أن تصرف ألمانيا كل هذا الوقود والطاقة - التي كانت بأمس الحاجة إليها- في الحرب بغرض إحراق ملايين الجثث

ثم يستنشِقُ نفسًا عميقًا ليكمل:والآن إلى المعضلة الكبرى ألا وهي: الزعم بأن ضحايا اليهود في تلك المحرقة وغرف التعذيب، والتجارب النازية، والحرق في الهولوكوست، كانت ستة ملايين!

إنَّ أول تحليل سيقابلنا هنا هو: رغبة الدول (أعداء ألمانيا النازية) في جذب أنظار الناس والعالم إلى جرائم ألمانيا وتضخيمها جدًّا؛ حتى لا ينتبه أحد إلى الجرائم التي قاموا بها سواء في الحرب، أو في معسكرات الاعتقال والتعذيب.

فمثلًا: هناك مذبحة درسدن في 13 فبراير 1945 التي راح ضحيتها في بضع ساعات فقط أكثر من 200 ألف إنسان بقنابل الفوسفور، وكذلك جريمتي إلقاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما في 6 أغسطس 1945 وناجازاكي بعدها بـثلاثة أيام والتي راح ضحيتهما

220 ألف إنسان مات نصفهم في نفس اليوم، وحتى الاتحاد السوفيتي نفسه قد بالغ في تهويل جرائم الألمان النازية ليوسِع لنفسه مجالًا في أوروبا فيما بعد باعتباره (البديل الأفضل)

لألمانيا، ولكي يصرف النظر عن سوء معاملته للسجناء في معتقلات (الجولاج) السوفيتية سيئة السمعة.

توقَّف قليلًا، وضرب بيده على المنضدة لإثارة الانتباه أكثر،ثمَّ تابع:

- ثاني تحليل هنا هو أنه في الكتاب اليهودي الأمريكي رقم 5702 الذي يغطي الفترة من 22 سبتمبر عام 1941 إلى 11 سبتمبر من عام 1942 نجد في الصفحة 666 إشارة إلى أنه كان يوجد في الأماكن الأوروبية الخاضعة للاحتلال النازي ساعتها عدد: 3 ملايين وعشرة آلاف وسبعمئة واثنان وعشرون يهوديًّا فقط (3.110. 722) بما فيهم يهود ألمانيا نفسها، فكيف تتم إبادة ستة ملايين منهم!
- أما ثالث تشكيك - وهو مأخوذ من كتابات وأقوال الأشخاص الذين سنذكرهم في آخر المقال- يستند إلى إحصاءات أوروبا قبل الحرب العالمية الثانية حيث كان العدد الإجمالي لليهود في

أوروبا كلها - بما فيها غير الخاضعين للنازيين- 6 ملايين ونصف المليون، فهل تم القضاء على يهود أوروبا كلهم في ألمانيا النازية؟

يصمت قليلًا ثم يقول: دعونا نتابع.

أورد بعض الباحثين والمؤرخين في تلك الفترة أنَّ العدد الإجمالي لليهود في العالم سنة 1938 كان 16 مليون ونصف، ثم صار العدد الإجمالي لليهود في العالم بعد 10 سنوات فقط (أي في عام 1948) 18 مليون ونصف، وإذا تم القبول جدلًا بأن 6 ملايين يهودي قد تمت إبادتهم أثناء الحرب العالمية الثانية - كما يزعمون- فهذا يعني أن الـ 10 ملايين المتبقين يستحيل أن يتكاثروا بهذه النسبة الضخمة التي تنافي قوانين الإحصاء، والنمو البشري، ليصبحوا 18 مليون بعد عشر سنوات فقط، علمًا بأننا هنا في مصر - وقد بلغ عدد السكان هنا في مصر 104 مليون نسمة- تزيد نسبة السكان عندنا بمعدل مليون كل عشرة أشهر.

ضحك الجميع بشدة على هذه المفارقة العددية.

تابع د محمود: إذًا كل الهدف هو خلق فزَّاعه تسمى (الهولوكست) لابتزاز العالم، وجعله مُلبيًا لطلبات اليهود.

ثم أشير بإصبعه للطلاب وقال: والآن إلى الطامة الكبرى، ما أسفر عنه كل ذلك (التحالف الدولي) للحفاظ على (قصة الهولوكوست) بل وعدم المساس بها ولو (بالتشكيك) بل ولو بالبحث (العلمي) أو (التاريخي) المحايد؟

في عام 1986 أعد المؤرخ هينري روكيه أطروحته للدكتوراة- تحت إشراف البروفيسور روجير-في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة باريس، وقد حصل على تقدير جيد جدًا عن رسالته، وكان عنوانُها:

(ضحايا معسكرات الاعتقال النازية)

حيث شكك روكيه بالرقم المقدس للمحرقة (6 ملايين يهودي) وقدم من خلال رسالته إثباتات ووثائق من مصادر موثوقة، وقام بإحصاء اليهود في أوروبا قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية وبعدها، وقام أيضًا بفحص الوثائق والتقارير التي تبنتها محكمة نورمبرج.

وفي نفس العام نشرت صحيفة (لوماتان دي باري) في 13 سبتمبر 1986م مقالًا لأحد كتابها يشيد برسالة روكيه، وينبه أنه يتعين على جميع الباحثين بعد الآن أن يأخذوا مثل هذه الدراسات بعين الاعتبار، وما إن انتشرت المقالةانقلبت فرنسا رأسًا على عقب، ونسيت الجامعات تقاليدها واحترامها لحرية البحث العلمي واحترامه، وأن النقد يكون بالدليل فتمَّت إحالة الرسالة إلى لجنة علمية خاصة هذه المرة في جامعة نانت لتقييمها، وانتهى الأمربسحب الرسالة، وإلغاء حصول الباحث هنري روكيه على درجة الدكتوراة؛ لأنه لم يسدد الرسوم الدراسيه في كلية الآداب بجامعة نانت التي أحيلت لها الرسالة رغم علمهم بأنه باحث في جامعة باريس.

أما عميد المفكرين والمؤرخين الأوروبيين (روجيه جارودي) رحمه اللهوالذي عاش من 1913 إلى 2012 (أي عاش قرابة الـ 100 عام) فقد كان نصرانيًّا، ثم ألحد في فترة ظهور الشيوعية، ثم أسلم بأخريات حياته - وإن كان تلبَّس ببعض الفكر الشيوعي،غفر الله لنا وله! - وقد كتب كتبًا تفضح السياسة العالمية والأمريكية مثل: (أمريكا طليعة الانحطاط) أما الكتاب الذي تعرض بسببه للمساءلة فكان كتابه الأشهر:

(الأساطير المؤسِّسة للسياسة الإسرائيلية) حيث خصص فيه فصلًا لنقد مزاعم الهولوكوست اليهودية والتي رأى أنها اتفاقٌ من الدول الكبرى لتوفير غطاء مجتمعي دولي لاحتلال فلسطين، وابتزاز دول أوروبا بتعويضات ضخمة لإسرائيل، وكان ذلك الفصل تحت عنوان (أسطورة الملايين الستة) وقد أدين الكتاب بعد صدوره بعامين في المحكمة الفرنسية في يناير 1998 كما صودر عدَّة مرات.

في 26 نوفمبر 2004 تم تنفيذ حكم السجن لمدة 17 شهر على الكاتب السويسري (رينيه لويس بيركلاز) بتهمة التشكيك في المحرقة، وفي 3 أغسطس 2005 اعتُقل الكاتب البلجيكي (سيغفريد فيربيكيه) في أحد المطارات الهولندية بسبب تشكيكه بمذكرات (آني فرانك) عن الهولوكوست، والتي تدرس في مدارس الكثير من الدول الأوروبية حيث قال عنها إنها "مذكرات ملفقة" لاحظوا أنَّ المدراس وتعليم الأطفال من أهم أهداف نشر أي قصة في الخارج بدءًا من خرافة التطور إلى تهويلات الهولوكوست!

وفي 11 نوفمبر 2005 تم اعتقال المؤرخ البريطاني (ديفيد ايرفينغ) وهو في طريقه لإلقاء محاضرة في إحدى جامعات النمسا بحجة أنه ألقى محاضرة في جامعة لوبن بجنوب النمسا عام 1989 شكك فيها بالمحرقة، وفي 15 نوفمبر 2005 بدأت محاكمة الكاتب الألماني (إرنست ذوندل) بتهمة التشكيك كذلك بالمحرقة في كتاباته.

وإجمالًا: فقد نجحوا في إصدار تشريعات تقضي بتجريم كل مَن يحاول فقط الوصول إلى حقيقة (الهولوكست) أو مجرد حتى التشكيك فيها، وذلك باسم:

Laws against Holocaust denial

وهي مدعومة ومطبقة في دول مثل: ألمانيا، إيطاليا، فرنسا، النمسا، المجر، رومانيا، بلجيكا، سويسرا، سلوفاكيا، بولندا، لوكسمبورغ.

وقد أتبع ذلك صدور قانون في الولايات المتحدة الأمريكية في أكتوبر عام 2004 يحمل اسم (قانون لتعقُّب معاداة السامية عالميًّا) Global Anti-Semitism Law.

حيث ربطوا التشكيك في الهولوكوست بمعاداة اليهود (السامية) رغم أنه لا صلة بينهُما، فهل صار مجرد البحث العلمي عن شيء تاريخي جريمة يعاقب عليها القانون؟!

وأخيرًا: وصل الأمر في أول نوفمبر 2005 إلى أن قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بتبني الهولوكست بروايته اليهودية الخيالية، وأصدرت قرارًا ينص على:

"رفض أي إنكار للمحرقة كحدث تاريخي، سواء بشكل جزئي أو كلي."

ونصَّ كذلك على وجوب تثقيف شعوب العالم بالمحرقة،كما تمَّ تحديد يوم 27 يناير من كل عام لإحياء ذكرى ضحاياها.

تنهَّد تنهيدة عميقة وأكمل:

- الخلاصة يا أولادي أنَّ كل ما طرحناه اليوم يجب أن يكون جزءًا أصيلًا في وجدان كل منكم، ان رحلتنا رحلة طويلة عاصرها جيل يعقبه جيل، جيل خلد ذكراها بدمائه ليسطر أحداثها، ليتركها لجيل بعده يكمل سرد روايتها، لتصبح هذه

هي العبرة، روح واحدة تجزأت أشلاؤها بين الشعوب، لتكون هذه هي الرحلة، رحلة البحث عن الهوية العربية التي أضاعتها براثن الاحتلال، وبينما نحن في الطريق ضالين نبحث عن المعنى الحقيقي للحياة هناك من يستمر في غرس جذوره الواهية ليؤكد للعالم أجمع أسطورة هويته الكاذبة بينما نحن مازلنا نهرب من الإجابة عن هذه الأسئلة، متى سيجمعنا وطن واحد أكبر؟

- متى سنجد هويتنا التي أضاعتها منَّا الفُرقة؟ متى سنصبح يدًاواحدة أمام قوى الاحتلال الواهية؟ انتهت محاضرة اليوم، وإلى لقاءٍ قريب إن كان في العمر بقية.

دوَّت التصفيقات وأصوات التشجيع على هذه المحاضرة التاريخية، وقام الطُّلاب لمساعدته لمغادرة الكلية.

***

منزل الزهراء

دخل د. محمود المنزل بهدوء، واستلقى على أول كرسي قابله يلتقطُ أنفاسه من هذه المحاضرة الطويلة، وهنا خرج خالد من غرفة الصالون متجهًا إليه وهو ينظر إلى حاله بشفقة.

خالد: أما كفاك يا أبي؟

كانت محاضرة ناجحة أثارت القيل والقال كما هي العادة، والله إني لأخشى عليك عواقبها.

د. محمود: علمٌ لا أكتمه يا بني، هكذا أمرنا الدين.

خالد: والإلقاء بالنفس للتهلكة حرمه الدين.

ثم أكمل بقلق: يا أبي، إنك مصنف لدى اليهود أحد أكبر أعداء السامية، ومحاضراتك فاقت الأسماع، ما الجديد الذي ستقدمه في هذا المضمار؟

الكل يعرف من هم اليهود وما هي حقيقتهم.

د. محمود: أدرك كل هذا ولكن سأواصل هذه الرسالة ما دام في صدرى نفس يتردد، لقد أخرجت للدنيا أكثر من عشرين تلميذ لي وهم بدورهم أخرجوا كثرًا مثلهم، وستتناقل الأجيال هذه الرسالة أبد الدهر؛ حتى لا ننسى يا ولدي، فقط حتى لا ننسى.

ثم التقط أنفاسه وتابع: أتعرف يا ولدي، سرُّ تفوق اليهود في هذا الصراع الأبدي على العرب أنهم أخذوا بأسباب التفوق كلها، اجتمعوا وتفرقنا نحن، جمعوا رؤوس الأموال لتحقيق حلمهم الأبدي ونحن جمعناها لشراء الأندية الرياضية والملاهي الليلية، اهتموا بالبحث العلمي ونحن نتذيَّلُ قائمة المهتمين، والله يا ولدي ما تفوقوا إلا لأننا أصبحنا الأكثر ضعفًا تفرقًا.

خالد: وهذا أمرُ العرب منذ القدم، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

د.محمود: كيف حال جدتك اليوم؟

خالد: بخير، تنتظرُك بالدَّاخل منذ الصباح.

د.محمود: وإجراءات معاشك، هل هناك جديد؟

خالد: لا جديد حتى الآن، ومزاد الشركة العلني بعد أسبوعين من الآن.

د.محمود: الأوغاد! وريم، أما مِن أخبار جديدة عن قدومها إلى مصر؟

خالد: لا جديد حتى الآن يا أبي، وإن كان هشام ولدي قد ساق إليَّ خبرًا غريبًا.

د.محمود: خيرًا إن شاء الله.

خالد: هشام يقول إن ريم هنا منذ عشرة أيام، وتم تسجيل دخولها من منفذ رفح البري، بعدها لم نعرف إلى أين اتجهت.

د.محمود بقلق: وإلى أين اتجهت الفتاة؟ نحن هنا أهلها فإلى أين ستذهب؟

خالد: هشام يبحث عنها يا أبي، وإلى الآن لم يصل لأيَّة معلومة.

د.محمود: استمر في البحث يا ولدي؛ ففي النهاية هي جزءٌ من هذه العائلة ولا يمكن أن نتخلَّى عنها بعد أن فقدت أهلها في غزة.

خالد: لا تقلق يا أبي، لن أتوان عن هذا.

***

مكتب أحمد شوقي المصري

تحسين بثورة: يهود! يهود يا أحمد!

أحمد: قلنا من قبل أنها شركة متعددة الجنسيات.

تحسين: ولكن بها أعضاء يهود، غالبية من نتعامل معهم يهود!

أحمد: لا نتناول المسألة في عالم المال من تلك النواحي يا أخي، المال لا يعرف الدِّين.

تحسين: ولكنهم يستخدمون المال لتحقيق أغراضهم هم الدينية وكل ما يعتقدونه يسعون لفرضه بالمال، إن هؤلاء الشرزمة من البشر إن لم يستطيعوا غزوك عسكريًّا سيغزونك اقتصاديًّا وفكريًّا، أنت لا تفهم شيئًا على الإطلاق.

أحمد: منذ متى وهذه الأمور تمثل لك أهمية؟ لقد ارتكبنا الكثير من الخدع أثناء عقد كثير من الصفقات؛ فماذا يضرك في هذا؟!

تحسين: الخداع في التجارة أهون من هذا، لا أفرط في مبادئ أؤمن بها، هؤلاء لا يأتي الخير من خلفهم أبدًا، لن أكون مُحالفًا أو مشاركًا لليهود أبدًا،لقد أعماك المال عن كل شيء.

أحمد بثورة: احفظ أدبك يا تحسين، لقد تجاوزت الحد.

تحسين: أي حد الذي تجاوزته يا غبي! بل أنت من فاق وتجاوز كل حد!

وهنا تدخَّل عادل حتى لا تتفاقم الأمور.

عادل: كفى، ارتفع صوتكما لأعلى مدى، ويشعر عمال الشركة بالتوتر، كفى!

تحسين: هل ستجاريه في هذا المضمار؟ الكل يعرف من هم اليهود وما هي حقيقتهم.

أحمد: أية قرارات انفعالية ستضر بأسهم الشركة يا تحسين، وستسوء الأمور.

تحسين بشراسة: لن تسوء أكثر مما هي عليه الآن.

عادل: بلى، يجب أن نهدأ لكي نتخذ قرارًا مناسبًا.

أحمد: أنا من يدير الأمور هنا يا تحسين وليس أنت.
تحسين: خنت ثقتنا التي أعطيناك إياها، وتعتقد أنك فقط من يحسن التفكيربالأمور، لا حاجة لنا بك.

عادل: فات أوان التراجع، يجب التحلي بالصبر والحكمة يا تحسين.

ليجلس تحسين ويتابع: ماذا يا عادل؟ أتظن أننا سنصل لاتفاق!

هاكم واحدًا إذًا، لن أشارك بهذه الصفقة أبدًا وسأنفصل عن الشركة بنصيبي الرسمي في التركة، قضِي الأمر.

أحمد بغضب: ومن سيسمح لك بإفساد الأمر؟

ثم يُخرج تحسين مسدسًا من جيبه، ويصوبه إليه وينطق: هذا.

ويتراجع أحمد في خوف بينما أصيب عادل بالذعر.

أحمد: هل جننت! أتقتلنا يا رجل؟! نحن إخوتك، ألا تدرك ما تفعله؟!

عادل: تحلَّ بالعقل يا تحسين وأبعد هذا المسدس.

وضع المسدس أمامه وقال: ها هو السلاح، وبالمناسبة لم أكن أنو قتلكما أنا فقط أثبتُ لكما أنني على استعداد تام لحمل السلاح للدفاع عن حقي ومبادئي التي لم ولن أتخلى عنها، تمامًا كما حملته منذ ثمانية وأربعين عام إبان حرب أكتوبر ٧٣، ساعتها

حاول أبي تهريبي من ويلات الحرب حتى لا أقتل، وأوصلنى إلى المطار بنفسهلأخرج من الباب الآخر وأُسلم نفسي لمركز التدريب وأخوض غمار الحرب وننتصر.

ثمتنهَّد بقوة وأكمل: وبعد هذا تأتي وتُبلغني بعقد شراكة معهم، أمثالك هم من يجعلون لهم ثمنًا، وبئس المصير الذي نذهب إليه بأيدينا! أخرجْنا اليهود من سيناء بالزي العسكري فعادوا إلينا بثوب الاستحمام بحجة السياحة، وبالبدلة بحجة أنهم مستثمرون متعددوالجنسيات.

أحمد بضجر: لا حاجة لي بدروسك الوطنية الآن.

تحسين: ولا حاجة لي بك، قضي الأمر، سآمر المحاسبين بالمُضي قدمًا في خطة الانفصال.

أحمد مُخاطبًا عادل بغيظ: وأنت، هل ستتبعه؟

ليلوح عادل بيده في بساطة: ومن إذًا سيجلس على قمتها معك حين تقوم بتخريبها.

أحمد: أعوذ بالله منك.

تحسين: بل أعوذ بالله من أمثالك من شياطين البشر.

الشركات مع المحاسب الخاص بي.

***

المزاد العلني

مرت الأيام سريعًا وجاء يوم المزاد، كان خبر نزول مصانع الأغذية والأراضي المحيطة به الي المزاد العلني حديث الأوساط الاقتصادية في مصر؛ لذا سارع العديد من رجال الأعمال الطامحين إلى الانخراط في شراء كراسة الشروط، وكانت التغطية الإعلامية للخبر واسعة، كان السؤال الرئيسى الذي فرض نفسه على الساحة: ما هو السبب الذي دعا الشركة لاتخاذ هذه الخطوة في ظل عدم معانتها من أيَّة أزمات اقتصادية؟!

وظل الأمر يثير حيرة الجميع حتى أن وسائل الإعلام سلطت الضوء على احتجاجات العمال في المصانع الخاصة بالشركة،والتي كان الهدف منها الاعتراض على ما تتخذه الشركة من إجراءات، ولكن للأسف كان الاحتجاج بلا جدوى ومنذ الصباح الباكرأقيم سرادق ضخم في ساحة المصنع، كان يحتوي ثلاثة أماكن رئيسية: الواجهة وكانت لمنظمي المزاد، والجانبين تم توزيعهما بين المشاركين في المزاد وبين أعضاء مجلس الإدارة (أحمد شوقي، وتحسين، وعادل، وسهير

زوجةأحمد ورانيا ابنتهما) وبعض المساهمين بينما اتخذ حسام وعصام مجلسيهما بآخر الصفوف يتابعان من بعيد، وفي خلفية هذا الجمع وقف العمال - وعلى رأسهم خالد محمود المصري- يشاهدون ما يحدث والحسرة على وجوههم.

بدأ المزاد بطرقاتٍ على المنضدة من المُنظم لكي يجذب انتباه الجميع خاصَّة رجال الإعلام الذين ينقلون الحدث.

المنظم: بسم الله نبدأ المزاد، اطلع الجميع على كراسة الشروط، هل يوجد أحد لديه اعتراض على أمرٍ ما في الكراسة؟

نظر للجمع فلم يتلق إجابة

المنظم: لا يوجد، حسنًا، فلنبدأ إذًا، من سيبدأ المزايدة؟

أحد الرجال: عشرين مليون.

المنظم: عشرين مليون، هل هناك كلمة أخرى؟

رجل آخر: خمسة وعشرين مليون.

رجل ثالث:ثمانية وعشرين مليون.

المنظم: ثمانية وعشرين مليون، هل من مزايد آخر؟ هل من مزايد؟

رجل رابع: ثلاثين مليون.

المنظم بحماسة: ها، معنا الآن ثلاثون مليون....ثلاثون مليون..من يزيد؟

لا يوجد!حسنًا،إنَّ السيد ..

ثمَّ يقطع كلامه فجأة إثر ارتفاع صوتٍ أنثوي ما

الصوت: انتظر، أسجل اعتراضي على المزاد.

هنا هبَّ أحمد واقفًا في غضب مواجهًا إياها: من أنتِ؟ ومن سمح لكِ بالدخول إلى هنا؟

لتضحك صاحبة الصوت بسخرية وتقول: أعرفكم بنفسي، يارا عبد النعيم المحامية بالاستئناف العالي ومجلس الدولة.

أحمد: وماذا تريدين أنتِ الأخرى؟

لتتركه وتواجه الحضور، وتحدث الجميع بثقة : السادة الحضور، ما بني على باطل فهو باطل؛ السيد أحمد شوقي المصرى لا يحق له بيع ممتلكاته إلا بحدود ٢٥ بالمائة من قيمتها بجانب ما اشتراه من الدولة إبان الخصخصة، هذا فقط ما يملكه الآن هو وأخواه السيد تحسين والسيد عادل.

يارا

عادل بثورة: هراء، كل الممتلكات ملكنا شرعًا وقانونًا يا فتاة!

يارا: في حدود الربع كما قلت من قبل، بقية الممتلكات آلت إليكم بوضع اليد لعدم وجود وريث.

ثم تصمتُ، وتنظر بوجه أحمد مواجهة إياه بورقة وتتابع: وهكذا تم الأمر، أما الآن وبناءً على هذا الحكم فهناك وريثٌ ظهر الآن وله نصيب الثلثين إلى جانب الثلث للسيدة فاطمة الزهراء المصري، وهذا إعلام وراثة من المحكمة يثبت حق هذا الوريث.

أحمد بغضب: كاذبة ومرواغة، لا يوجد وريث لهذا الفرع.

يسود الهرجُ والمرجُ المزاد فيطرق المنظم المائدة بعنف.

المنظم:صمتًا، نرجوكم الصمت.

ثم يتجه المنظم إلى يارا: أتسمحين لي بالحكم؟

فتقدمه إليه، يقرأ الحكم ويوجه كلامه بعدها لأحمد: هذا الحكم يلغي البيع كليةً يا سيد أحمد؛ فمن شروط البيع الموافقةُ الكتابية من الورثة، وبعد انفصال تحسين بك لم يتبقى إلا أنت وعادل

بك، ولكن هذا الحكم يثبت وجود طرف أصيل له الثلثين لم تتم أخذ موافقته، وبالتالي لا حق لك في التصرف إلا بأملاكك أنت فقط.

أحمد: من هذا الوريث؟ وإن وجِد فأين وثائق ملكيته؟!

ومتى ظهر هذا الحكم؟

بدأ عادل يُطالع عادل الحكم، ويُطلع عليه تحسين الذيكان ينظر إليه.

تحسين: الأمر صحيح، الحكم صادر من محافظة أخرى لكي نفاجأ به، لعبة قذرة من ألعاب القانون والمحامين.

يارا بسخرية: أخجلتم تواضعنا، أنا أجتهد فقط.

وهنا يتدخل عصام شوقي وحسام شقيقه

حسام: نريد بعض التوضيحات يا آنسة، شخصيًّا لن يضيرني وقف المزاد بل إنه أمر يسعدني، فقط نريد الحقيقة.

عصام: مع كامل احترامى لكِ، من هذا الوريث المزعوم؟

يارا وهي تنظر لعصام باهتمام: حسنًا أيها الوسيم، ستأتيك الإجابة حالًا.

ثم تنظر إلى باب المصنع وتقول: تفضلي يا آنستي.

لتدخل فتاة حسناء بثوب أسود تبهر الجميع بفتنتها فيتوقفوا عن الحديث، ويتابعها خالد محمود بأمل ولهفة.

الفتاة: أقدم لكم نفسي، أنا ريم (ريم عزالدين محمد عبدالقادر مهنا المصري) أيها السادة.

ريم: أنا ريم،آخر من تبقى من نسل عبد القادر مهنا، وبموجب وثائق الملكية الأصلية وإعلام الوراثه أعلن وقف هذا المزاد حالًا.

أحمد بثورة: كاذبة ومخادعة، استدعوا الشرطة.

حسام بقلق: فقط اهدأ يا أبي، لا تتوتر،إنَّ قلبك ضعيف!

أحمد بإصرار: اصمت، أنت لا تعلم كيفية التعامل مع السارقين.

ريم بصلابة: لست بسارقة، وإن كان هناك من يسرق فهو أنتم.
أحمد وهو يرفع يده لصفعها على وجهها: اصمتي!

لكن خالد يأتي بغته ويمسك يده بقوة.

خالد: إياك أن تفعلها أيها الوغد، كفاك ظلمًا واغتصابًا للحقوق!

ثم يجذب خالد ريم برفق لتواجهه بأعين دامعة

خالد: مرحبًا بك يا بنيتي، أنا خالد المصري.

ريم: عمي خالد!

عانقها خالد فدفنت رأسها فى صدره باكية، وساد الصمت والذي سرعان ماقطعته يارا: حسنًا، يكفي هذا ليومٍ واحد يا ريم، هيا بنا الآن، هيا!

نظر خالد لأحمد الذي تصبب العرق غزيرًا على وجهه، وقال بتوعُّد: سنلتقي ثانية.

ثمَّ جذب ريم – التي كانت تنظر لحسام ويبادلها النظرات بصدمة - واختفوا عن الأعين بينما سقط أحمد مغشيًّا عليه أمام نظرات الجميع؛ ليهرع إليه حسام صارخًا: أبي! لا.. لا يا أبي.

مستشفى المعلمين ببنها

وقف الجميع في توتر، حسام ورانيا وعصام وأمهم هناء فى جانب، وعلى الجانب الآخر تحسين وعادل، رانيا تبكي وتنتحب وعصام مطرقٌ برأسه حزنًا، بينما هناء تقرأ القرآن من مصحف صغير.

حسام: أي عبث هذا؟ لا أصدق ما نمر به من أحداث.

عصام: مفاجأة أكبر من قدرتنا على الاستيعاب، لم نتخيل طوال هذه السنين أن هناك وريثًا لهذا الفرع على قيد الحياة باستثناء الزهراء ونسلها.

حسام: كل ما بُني على باطل يظل باطلًا، كان الخطأ من البداية خطأ الجد الأكبر عبد العظيم، وكل من جاء من بعده سار على نهجه من الجحود وعدم الاعتراف بحق نسل عبد القادر مهنا حتى جاء القدر ليعيد الأمور لنصابها.

عصام باستنكار: هل ستصدق هذه الفتاة؟
حسام: أنت رجل قانون وتعلم ما ستذهب إليه الأمور في النهاية، ويبدو أن ريم هذه أوراقها سليمة، ناهيك عن الحكاية

القديمة التي تذهب إلى أنَّ عبد القادر مهنا حينما غادر البلاد في السخرة أخذ كل ما يثبت ملكية أرضه معه، ولم يستطع عبد العظيم وقتها أن يتحصَّل عليها.

عصام: إن كان هذا هو الأمر فأين كانت هذه الفتاة وأسرتها ونسل عبد القادر نفسه طوال أكثر من مئة عام؟

حسام: في فلسطين المحتلة، حكاية أخرى من حكايات الزمن المنسية.

هنا صرخت فيهما رانيا: كفاكُما جدالًا، أبي يموت بالداخل وأنتما هنا تتجادلان.

هناء بغضب: التزمي الأدب يا رانيا في الحديث مع إخوتك.

هنا تدخَّل تحسين: ليهدأ الجميع! نحن في أدق وأخطر توقيت تمر به العائلة، دعونا ندع لأحمد بالمرور من هذه الوعكة بسلام.

عادل: يا رب الطف بنا وخفف البلاء!

حسام: آمين.

ثم فُتِح باب الغرفة ليخرج الطبيب فهرع الجميع إليه

حسام: ما الأخبار يا دكتور؟

الطبيب: سيتجاوز المشكلة، أحمد بك يعاني انهيارًا عصبيًّا وحالة إرهاق عام ومشاكل طفيفة فى القلب، بضعةُ أيام وسيخرج سالمًا معافىً، اطمئنوا.

هنا تنفَّس الجميع الصعداء

حسام:حمدًا لله.. حمدًا لله.

ثم قال وهو ملتفت لعصام: لا تفارق أباك حتى أعود إليك.

عصام: إلى أين يا أخي؟

حسام: زيارةٌ حان وقتها الآن.

***

منزل الزهراء

كان اللقاء حارًّا، ارتمت ريم في أحضان الزهراء تبكي والزهراء تقبل رأسها بينما محمود يجلس دامع العينين هو وخالد، ليأتي بعدهابقليل هشام بن خالد - وهو شاب ثلاثيني- ومعه لفة من الأطعمة الطازجة.

هشام: أنتِ ريم إذًا!

ريم: عفوًا يا أخي، من تكون؟

خالد: هذا هشام ولدي يا ريم.

ثم أشارإلى سيدة وقورة تجلس بجانب الزهراء وقال: وهذه زوجتيمريم.

ريم مُحدثةً مريم: مرحبًا يا خالتي.

مريم : مرحبًا بكِ يا بنيتي، اشتقتُ إليكِ قبل أن أراكِ.

ريم: جزاكِ الله عني كل خير.

هشام ضاحكًا: هل لي أن أعرف أين كنتِإن كان هذا لا يثير غضبك، غبتِ كثيرًا واليوم أكملتِ ثلاثة أسابيع تقريبًا منذ وصولك ولم نعلم عنكِ شيئًا.

ريم: رفقًا بشقيقتك يا أخي الفاضل، سأقص عليكم الكثيرولكن الآن تثير لعابي هذه الرائحة التى تخرج من اللفافة، وقد تذكرت أني جائعة جدًّا.

ضحك د.محمود وقال: هلمي بنا إذًا، يبدو أنني جائع أنا الآخر.

خالد بدهشة: أبي يسأل عن طعام!

الزهراء ببسمة: يبدو أن بركات ريم حلت على البيت الذي لم تدخله البهجة منذ مدة طويلة، بوركتِ يا بنيتى.

هشام: إلى المائدة إذًا يا جدتي، هيا بنا قبل أن ألتهم الطعام كله.

الزهراء: هيا يا ريم؛ فهشام جدير بأن يبتلعنا جميعًا إن تملَّك منه الجوع.

ضحك الجميع والتفوا حول المائدة جميعًا يتناولون الطعام، ولأول مرة منذ وفاة أهلها تتناول ريم الطعام بشهية، أما

الزهراء فاكتفت بلقيمات قليلة نظرًا لحالتها الصحية، بعدها توجَّه الجميع لاحتساء الشاي فى غرفة الصالون لاستئناف الحديث.

ريم: شكرًا لكم جميعًا.

د.محمود: على ماذا؟

ريم: على هذا الاستقبال الحافل، الآن يهدأ بالي بعد أن عدت إليكم، الآن فقط تتصل الجذور ببعضها البعض.

الزهراء: هذا مكانك وبيتك ونحن أهلك يا صغيرتي، السند والركن الذى تلجئين إليه دومًا.

ريم: هذا ما أتمناه.

د.محمود: حقًّا! يا ريم، أين كنتِ طوال هذه الفترة؟

ريم: كنت في مدينة نصر مع يارا.

خالد: تلك المحامية، نعم، كانت مفاجأة اليوم.
ريم: يارا من أصول فلسطينية من جهة الأم، تعملُ محامية، وكانت والدتها شقيقة د.وجيه أكبر رجال القانون في فلسطين،

تواصل معها واتفق على كل هذه الخطوات التي تمت اليوم، والتي بدأتها يارا بدعوى إعلام الوراثه في محافظة أخرى بخلاف القليوبية حتى لا يستدل أحد على عنوان أحمد شوقي وبالتالي يصدر الحكم دون أيَّة محاولة ما لتعطيله، وهذه الخطوة بدأتها يارا قبل قدوميإلى مصر، وحينما وصلت كنت قد اتفقت معها على متابعة الأحداث من بعيد حتى صدور الحكم، عندما علمت بأمر المزاد والشركة متعددة الجنسيات التى تريد الاستيلاء على الشركات كان يجب وقف كل هذه الإجراءات والباقي أنتم تعرفونه.

د.محمود : متعددة الجنسيات!

ريم: من أمريكا وإنجلترا وهولاندا، يختلفون في الجنسيات ويجتمعون في الديانة ....اليهودية.

د.محمود باستنكار: يهود! اللعنة على الوغد! يريد أن يحيق العار بنا إلى الأبد.

خالد: أعمته الشهوة والطمع.

الزهراء: شيطانه يحكمه، ادعوا له بالهداية.

هشام: حسنًا، وماذا ستكون الخطوة القادمة؟

ريم باسمة: لكل مقام مقال يا أخي.

هنا رنَّ جرس الباب فقام هشام لفتحه

هشام: تُرى من سيأتينا الآن؟

فتح الباب ليرى حسام أمامه

هشام: أنت!

***

نيل بنها

نفث حسام دخان سيجارته في توتر، واندلع الدخان بكثافة في وجه ريم التي تأففت فاضطر هو لإطفائها متذمرًا.

ريم: هكذا أفضل.

أخذ ينظر لها كثيرا ويخالجه مشاعر مضطربة , كانت فتنة ريم وعيونها الواسعة وملامحها الدقيقة تخلب لب من ينظر اليها , وحينما لاحظت هي أنه اطال النظر اليها تنحنحت فى أدب لتخرجه من هذه الحالة فانتبه وعاد يسألها

حسام: ما الذي جعلكِ توافقين على النزول معي إلى هنا؟

ريم: أمر جدتي الزهراء واجب التنفيذ.

حسام بتعجب: ألستُ غريبًا عنكِ؟!

ريم: لا.

حسام: هكذا بكل ثقة!

ريم: ابن عمي، وهكذا قالت الزهراء وسمحت لي.

حسام: أتظنين أنني أثق في صحة هذه القرابة؟

ريم: نعم، تثق تمام الثقة وإلا ما قادتك قدماك إلى هناك.

حسام: ألهذه الدرجة تصدقين حديث جدتي الزهراء؟

ريم بثقة: قالت جدتي إنك فرع صالح، إذًا فأنت هكذا دون زيادة أونقصان.

حسام: أتعرفين، ربما هناك سببٌ آخر أخفيه.

ريم: لماذا تخفيه؟ أفصح حتى نزيل الحرج عن كلينا.

حسام: إنه أمرٌ صعب التصديق قليلًا.

ريم: هناك أمورٌ كثيرة في الحياة قد تبدو ضربًا من الجنون ولكنها أمرٌ واقع يجب تقبله كما هو.

حسام: إنه ....إنه ...

تردَّد قليلًا ثم أكمل: إنه حلم.

ريم: حلم! ولم لا تقصه عليَّ إذًا؟

حسام: كنت فى محبسي ورأيت رؤيا غريبة، جدتي الزهراء قادمةٌ إليَّ بزنزانتي، أعطتني مفتاحًا بيد وصورة صغيرة بيد أخرى، كانت الصورة صورتك أنت يا ريم.

ارتسمت علامات الخجل علي وجنتيها فازدادات جمالا وهي تحدثه

ريم بحياء: مرحى! يا لها من صدفة! أنا أيضًا رأيتك.

حسام باستفسار: أين؟ حينما تقابلنا في المصنع؟

ريم: لا، قبل هذا، في حلمٍ آخر، على يد الزهراء أيضًا.

حسام بانفعال: وماذا يعني هذا؟

ريم: ربما لا يعني شيئًا، وربما يعني كل شيء.

نظرت لساعتها بقلق: ويعني أيضًا أننى تأخرت على العودة للبيت، أصبحت لي أسرة الآن يُهمها أمرى وتخشى عليَّ الغياب.

حسام بغضب: لم أكمل حديثي بعد.

ريم: ربما في وقت لاحق، ما أكثر الأيام التي سنتحدث ونلتقي فيها!

ولم لا وقد أصبحت عدوة أسرتك الأولى.

حسام وهو يشير لها بيده: حسنًا تفضلي، يمكنكِ الانصراف.

ريم: بمفردي! يا لك من رجل!

حسام بإحراج: لا أقصد يا ريم.

ثم وقف وأخرج أموالًا وضعها على المنضدة

حسام: هيا بنا.

***

سيارة حسام

كان حسام يقودُ السيارة وهو يحملق بريم من زجاج المرآة الأمامية ويبدو متوترًا بشدة وكانت ريم تخفي ابتسامتها من موقفه بصعوبة بالغة وتنظر خارج نافذة السيارة بشغف شديد لما تراه من مشاهد لم تكن تشاهدها إلا في التلفاز بالأفلام المصرية، ثم مرت السيارة أمام مجموعة من عربات طعام الباعة الجائلين مما جذب انتباهها بشدة، ودفعها لطلبٍ بدا شديد الجرأة من حسام بطريقه لم تتوقع حتى أن تخرج منها.

ريم: هل من الممكن أن تتوقف هنا قليلًا يا ابن العم؟

حسام: لمَ؟

ريم: إنه أمرٌ يخصني أنا فقط.

حسام بغضب وثورة: إني أخشى عليكِ الطريق،أنتِ غريبة عن هذا المكان ولربما .

لتقاطعه هي: ولربما ماذا؟ أتعرض للاختطاف مثلًا ...يا لها من مزحة!

حسام: بل يا لها من لامبالاة وثقة زائدة تصيبني بالغثيان، ها قد توقفنا.

هبطت من السيارة وتبعها،اقتربت من بائعي التين الشوكي والبقلاوة وحمص الشام والبطاطا ونظرت لهم بانبهار، أما حسام فقد كاد الموقف كله يصيبه بالانهيار العصبي.

حسام: أهذا ما توقَّفنا من أجله!

ريم: عاملني باعتباري طفلة صغيرة إن كان يناسبك هذا الأمر، والآن هلا تشتري لي من جميع هذه الأشياء؟

حسام بذهول: يا لك من فتاة! أستأكلين كل هذا؟

ريم: لاشأن لك بي، فقط اجعلهم يضعون كمية صغيرة من كل نوع.

حسام بملل: حسنًا، كما تريدين.

ثم ذهب للباعة لجلب الأطعمة ورجع إليها بكيس ضخم.

حسام: تفضلي، هاكِ كل ما طلبته.

ريم: جيد، كم حسابك؟

حسام: لا يجوز أن تدفع الفتيات النقود في وجود الرجاليا آنسة.

ريم: سؤالي ليس الغرض منه أن أدفع، أنا فقط أعرف قيمة المبلغ لأخصمه من نصيبي لديكم.

حسام بغضب: اللعنة! هلا ننطلق حتى أتخلص من هذا الصداع..

ريم: هيا إذًا، لا ريب أنني تأخرت كثيرًا، وأيضًا لكي أستطيع التهام كل هذا الطعام.

حسام: لمَ؟ أليس هناك طعام في غزة؟

ريم: يوجد في غزة من خيرات الله، فقط كل ما كنت أرغب فيه هي الطقوس، أن أعيش عيش المصريين وأن أتجول على ضفاف النيل، أتناول الذرة وحمص الشام وغيرها، كل ما كنت أحلم به وحرمت منه بسبب العدوان والحصار علينا، تلك أشياء بسيطة بالنسبة إليكم، ترونها كل يوم بينما نحن نشتاق للحظة متعة واحدة مع هذه الأشياء.

حسام: فهمت، حسنًا إليكِ رقم هاتفي، ربما تحتاجين جولة أخرى على ضفاف النيل.

ريم: كيف حال أبيك الآن؟

حسام: هل تهتمين حقًّا بحالة أبي؟

ريم: لست عدوة له ولن أكون قط، أنا صاحبة حق ضائع أسعى لاسترداده بالعدل وعدم التجاوز في حق أحد؛ فأبوك في النهاية عمٌّ قريب لي يجب احترامه ويجب كسبه وليس خسارته، وإن كان هو كما يبدو عليه لا تهمه مثل هذه الأشياء التافهة.

تنهَّد حسام وقال: في النهاية يصلح الله الأمور بين البشر بحكمته، والله أتمنى أن تنتهى هذه المسألة على خير.

ريم: أتمنى أنا أيضًا كذلك؛ فلايوجد شخص يتمنى المشكلات ويسعى إليها.

***

منزل الزهراء

دخلت ريم إلى المنزل وهي تشعر بسعادة غامرة لا تعرف لها تفسيرًاإلا أنها قد جنت أقله، وانتابتها العديد من المشاعر المتناقضةما بين السعادة، والاندهاش من موقفها مع خالد، والإعجاب به، والخوف من موقفه تجاهها بسبب أسرته،كانت وسط خليطٍ غريب من المشاعر التي تربك العقل وتجعله غير قادر على الاستيعاب، وسرعان ما طرقت باب جدتها ودخلت الغرفة لتجد الزهراء في مصلاها تستمع للقرآن بخشوع.

الزهراء: ها قد جئتِ يا ريم، كيف كان لقاؤك بحسام؟ هل كان مثمرًا؟

ريم: نعم يا جدتي، أثمر عن الكثير، انظري.

وأعطتها ريم الكيس الضخم الذي ابتاعه لها حسام، فنظرت له الزهراء باندهاش، ثم تحدثت باسمة: حسنٌ جدًّا، يبدو أنه كان مثمرًا بحق.

ثم نظرت للكيس وتابعت: بطاطا وذرة مشوية وحمص الشام، اممم وبقلاوة أيضًا، حسنًا ثمَّ ماذا؟ أتحدثتما؟

ريم: لا.

الزهراء: ولا في أمر التركة؟

ريم: لا.

الزهراء: ماذا فعلتما إذًا؟

ريم بسخرية: جلس يحدق فيَّ طويلًا، وينفث دخان السيجارة كمدخنة عتيقة.

ثم صمتت قليلًا وأكملت: وقال إنه شاهدني في حلمه، وفي هذا لا يمكنني تكذيبه خاصة أنه ذكركِ في الحلم.

ابتسمت الزهراء وقالت: ثم، أكملي، كلي آذان صاغية.

ريم: قال إنك أعطيته صورة لي، وأنه اندهش حينما رآني في المصنع.

ثم نظرت ريم لجدتها بجدية وقالت: جدتي، لن أسأل كيف رآكِ فقد مررت بذات التجربة، سأسأل فقط من أين أتيت بالصورة؟

ضحكت الزهراء

ريم: صورتي التي رآها في منامه.

ثم صمتت ونظرت لها بتركيز وسألت: وكيف تملكين القدرة على التغلغل لأحلامنا؟

الزهراء: تسألين كثيرًا يا ريم.

ريم: ولا أتلقى أي إجابة.

الزهراء: لأنه لا مجال للإجابة الآن، دعي الأمور لوقتها.

ريم: حسنًا، أين سأنام؟

الزهراء: لكِ غرفة مجهزة ستقودك إليها خالتك مريم.

ريم: أمن الممكن أن أنام هنا الليلة بجوارك.

الزهراء: ولمَ لا، ستؤنسين وحدتي أقله.

ريم بسعادة: جميل، ولكن قبلها هلمي لنأكل قليلًا من البطاطا والذرة، وستكون التحلية بالبقلاوة.

الزهراء في رصانة: أريد أن أموت ميتة ربي، لا أن أموت بتلبك معوي يا ريم.

نظرت لها ريم بانزعاج من طريقتها في الرد.

***

فيلا أحمد شوقي- الحديقة

دخل حسام من باب الفيلا للحديقة مُتجهًا لأبيه الجالس مسترخيًا بهدوء يدخنُ سيجاره الذي لا يكاد يفارق يده، اقترب منه وقبَّل رأسه ويده.

حسام: كيف حالك اليوم يا أبي الحبيب؟

أحمد: بخير، كيف حالك أنت؟ أما زلت تقابل تلك الفتاة المحتالة التي تدعي قرابتنا؟

حسام بضيق: للأسف يا أبي ريم ليست محتالة، ريم قريبتنا فعلًا شئنا أم أبينا.

أحمد: سنطعن على مستنداتها بالتزوير.

حسام: ريم دارسة للقانون يا أبي وأعدَّت العدة كلها لهذا الأمر، جميع مستندات الملكية جاءت بنسخة منها من دار المحفوظات والوثائق بالقلعة، والمحامية الداهية التي ترافقها أقامت دعوى لتمكينها من ميراثها تتضمن ريم والزهراء، أي إنها في كل الأحوال آجلًا أو عاجلًا فستتمكنُ من الحصول على إرثها كله.

أحمد: وتتقلص ملكيتنا بالشركة إلى النصف تقريبًا! هراء! ما تسميه ريم هذه بملكيتها كان لا شيء يذكر في الماضي، مجرد عشرة من الأفدنة التي استغلها أجدادك وأقاموا من ريعها أول مصنع للمواد الغذائية بمصر، وبالتدريج زادت الثروة إلى عشرات أضعافها بسبب جهودهم وجهود من أكملوا المسيرة بعدهم ألا وهم نحن؛ لذا لن نترك الأمر بسهولة هكذا لفتاة غريرة، ولن ينجح أفراد فرع عبد القادر مهنا بالفوز والانتصار علينا.

حسام: ولماذا إذًا لم تتركوهم منذ البداية ينعمون بممتلكاتهم يا أبي؟ هم فقط كان لهم الحق بتقرير مصيرهم وليس نحن.

أحمد: لأننا كنا الأفضل والأقوى والأجدر على إدارة الأمور منهم، هم اختاروا أن يكونو أهل علم ونحن اخترنا أن نكون أهل مال؛ لذا من الطبيعي أن نقود نحن زمام الأمور.

حسام: منطقٌ استعماري لا يختلفُ عن منطق اليهود الذين تصرُّأن نشاركهم إرثنا.

أحمد: بل منطق العالم الذي يفرض نفسه الآن على الجميع.

حسام: إنها معركة خاسرة يا أبي للأسف.

أحمد: أبوك لا يخسر أية معارك يا حسام.

حسام بعزم: ماذا تريد يا أبي تحديدًا؟

أحمد: استدعها إلى الفيلا لنتناقش في هذا الأمر.

حسام بدهشة: بسهولة هكذا؟

أحمد: استدعها على العشاء غدًا، أعمامك سيكونون حاضرين، وساعتها من الممكن الوصولُ لحل يرضي جميع الأطراف.

حسام: لا أستطيع فهمك يا أبي.

***

نيل بنهاـ نادي المعلمين

تنظر ريم بهدوء لحسام الذي يبدو أنه كان ينتظر رد فعل مختلف منها حينما أخبره والده برغبته في لقائها؛ مما جعله يبادر هو لاستئناف الحديث.

حسام: لم تخبريني بعد ما هو قرارك يا ريم.

ريم: ماذا تتوقع أنت؟

حسام بملل: لا أحب الالغاز إما نعم وإما فلا، هكذا يحسم الأمر.

ريم: قل لي يا حسام، لماذا لم تدرس التجارة أو إدارة الأعمال كأخيك عصام مثلًا وفضلت الاتجاه لدراسة الآداب؟

حسام: تحاولين قلب دفة الحوار إذن تهربًا من الإجابة.

ريم: لا، على الإطلاق، سألبي الدعوة، فقط أتمنى وقتها أن أجد حلًّا حقيقيًّا يلبي طموح الجميع.. ها، لم تقل لي بعد، لماذا درست بكلية الآداب؟

حسام: طبيعتي هكذا، متمردة على القواعد والقوانين الأسرية العتيقة، منذ كنت طفلًا وأنا أسمع عن جدتي الزهراء وعمي خالد وعمي محمود الذي كان بالمناسبة معلمي في الجامعة، وكانت الأوامر التي نسمعها أننا محرم علينا الاتصال بهذا الفرع الفقير من الأسرة؛ لأنهم يطمعون فيما نملك لذا كنت أطيع الأوامر بدون مناقشة، حتى جاء هذا اليوم الذى تشاجرت فيه مع صبية في الشارع الذين كانوا يقطنون فيه، وأنت تعلمين نظرة أولاد الفقراء لأولاد الأغنياء الذين يرتدون أحدث الثياب وأجملها، كان يومًا صيفيًّا وكنت على ظهر دراجة مع رفيق لي وتعرضنا للاعتداءبغرض خطف الدراجة، هكذا دون سبب، ساعتها وجدت هشام ابن عمي خالد وكنت أعرفه معرفة بسيطة، كان يرى المشهد من شرفة الدار وأتى مسرعًا ليتشاجر معهم ويقف ملاصقًا لي كتفا بكتف مدافعًا عني حتى جاء عمي خالد وجدي محمود ليفضَّا الشجار، وساعتها أصرَّا على صعودي لأعلى لغسل جروحي التي ضمدتها خالتي مريم، وفي المنزل رأيتها، الزهراء، جدتي، وجدتنى أحتضنها وأقبل يدها وللغرابة دمعت عيناي وشعر قلبي بدفءٍ لم أشعر به من قبل، ضحكت وأكلت، ولم أكن أريد أن أغادر المكان ولكني كنت أعرف ردود أفعال أبي إن علم بتلك الزيارة فغادرت، وكنت

أزروهم خلسة لتتوطد علاقتي بهشام وبقية الأسرة التى رغم بساطتها تُشعرك أنهم أغنياء من التعفف.

عندما علم أبي واجهته وأخبرته أني سأستمر بزيارتهم مهما كان رد فعله، وبسبب ما كان يقصه علينا عمي الدكتور محمود من تاريخ الأمم ومناهل الثقافة اخترتُ الاتجاه لدراسة الآداب مخالفًا رغبة أبي وأمي.

ريم: يا لها من قصة، جعلتني أعرف من أواجه؛ إذن لهذا جدتي الزهراء تحبك وتقدرك.

نظر حسام إليها طويلًا حتى كست حمرة الخجل وجهها، ثم استأنف الحديث: ريم، لا أحب المقدمات، أمقتها بشدة لذا فلدي اعتراف صغير.

ريم بخجل: ماذا؟

أمسك حسام يدها وقبلها بينما ريم ارتفعت دقات قلبها وزاد احمرار خديها بشدة،ارتبكت وقالت: حسام، ماذا فعلت؟ حسام، أنا لست مستعدة لـ....

وضع يده على فمها ليُسكتها وقال: لست أطالبكِ برد الآن، فقط أقرُّ بحقيقة ما بداخلي.

ارتفع رنين الهاتف فتناولته، نظرت إليه وحاولتأ ن تتماسك لترد على المكالمة.

ريم: إنها الزهراء.

ثمَّ تلقَّت المكالمة.

ريم: نعم يا جدتي، أين أنا؟! امممم، في مقهى على النيل، لا، بمفردي.

صمتت قليلًا، ثم عاودت الحديث: حسنًا، لن أتأخر، لا تقلقي، إلى اللقاء.

أنهت المكالمة ونظرت لحسام الذي ما إن استأنف الحديث ارتفع صوت رنين هاتفه ليجد الزهراء على الهاتف؛ فتعجب بشدة.

حسام: إنها الزهراء، ماذا هنالك؟

ريم بتوتر: لا أعرف، قم بالرد.

حسام: حسنًا.

حسام: جدتي الغالية، كيف حالك؟ بخير لا تقلقي، ماذا؟ أقوم بجلب ريم إلى البيت؟!

ارتبك حسام: ولكن يا جدتي ....حسنًا، لن نتأخر.

وأنهى المكالمة

حسام: دائما أحتار في أمرها.

ريم: لقد استسلمت أمامها منذ مدة طويلة، هيا بنا إليها.

***

منزل الزهراء

حسام وهو يقبل يد الزهراء: أوحشتِني يا جدتي كثيرًا، كم اشتقت للقائك.

الزهراء: وها أنا ذي، أين ريم؟

دخلت ريم الغرفة وهي تقول: موجودة يا جدتي، فقط كنت أساعد خالتي مريم بإعداد الطعام.

أشارت لها الزهراء بالجلوس: اجلسي يا ريم، أريد أن أحدثك قليلًا أنتِ وحسام.

ريم: ها قد جلسنا في رحاب جدتي الحبيبة.

حسام: كلنا رهن إشارةٍ منك يا جدتي الغالية.

التقطت الزهراء مصحفًا بجانبها وأعطيه لحسام

الزهراء: خذ يا حسام هذا المصحف.

أخذ المصحف وقلبه في يده،وبعد أن قبله قال: حسنًا يا جدتي، وماذا أيضًا؟

أمسكت الزهراء بيد حسام ووضعتها على المصحف وقالت: أقسم على كتاب الله أنك سترعى ريم، وتدافع عنها ضد أي خطر حتى لو كان من دمك.

حسام: لا تقلقي يا جدتي،إن ريم بالنسبة لي...

قاطعته ريم: حسام لا داعي للقسم، أنا جديرة بحماية نفسي من...

قاطعتها الزهراء بحزم: اصمتي يا ريم وأصغ جيدًا، رغم أنني قد تجاوزت الـ ١١٥ عام إلا إنني ما زلت صامدة أحتفظ بذاكرتي وتركيزي، وأعي ما أقول.

ريم بخجل: آسفة يا جدتي.

حسام: أقسم يا جدتي، أقسم على رعاية ريم مادام في صدرى نفس يتردد وروحي لم تفارق جسدي، لاتقلقي.

الزهراء: أصدقك يا بني، وأنزع هذه المسئولية من عنقي لأعلقها بعنقك أبد الدهر.

ثم نظرتلريم ونطقت: ريم، أتثقين بي؟

ريم: جدًّا، أنتِ جدتي ولن تتخذي أى قرار ليس بصالحي حتمًا.

الزهراء: جيد، والآن انزعي غطاء شعرك.

ريم بدهشة بالغة: ماذا تقصدين بهذا الأمر الغريب؟

حسام بإحراج: جدتي، حقًّا لا أفهم ما الذي تريدينه من هذا الأمر؟

الزهراء بشدة: ارفعي غطاء رأسك وانزعيه.

ورغم غرابة أمر الجدة نفذته ريم ونزعت غطاء رأسها، انسدل شعرها الأسود الفاحم طويلًا كثيفًا خلف ظهرها، وتورد وجهها بحمرة الخجل، وحسام ينظر لها بانبهار من فرط جمالها.

حسام: سبحان من أبدع في خلقه! أنت رائعة الجمال!

ريم بضيق: الم أكن جميلة في نظرك؟

حسام: أجميلة فقط .. بل فاتنه أيضًا، ولكن عندما أزلتِ الحجاب ازددت روعة وبهاء.

ريم: بل إن الحجاب ما يزيدني روعة وبهاء يا رجل.

الزهراء: حسنًا، أأعجبتك؟

حسام: أجل يا جدتي، حورية من حوريات الجنة.

الزهراء: إذًا إليكما تفسير ما فعلت، في عرفنا الفتاة لا تنكشف إلا على من سيكون زوجها وأنت قد رأيت ريم الآن، وأدعو الله أن تكون لك خير زوجة.

ريم بتوتر: ماذا تقصدين يا جدتي؟

الزهراء: يا بنيتي بلغ قطار العمر مرحلته الأخيرة، وأخشى عليكِ من مغبة المواجهة مع أحمد وإخوته؛ لذا لن أجد أحدًا يهتم بك ويرعى شؤونك مثل حسام، النبتة الطاهرة من نسل عبد العظيم، لعل هذا الزواج يجمع فرعي الأسرة أخيرًا، ولعلمكما سنخفي الخبر قليلًا حتى تهدأ الأمور.

ثم أخذت الزهراء يد حسام وقرَّبتها من يد ريم، شبكتهما ببعضهما البعض ووضعت يدها فوقهما وقالت: اتلوا الفاتحة بنية حل العُقد والكرب، ثمَّ ثانية بنية الزواج، هيا.

نظر حسام لريم بسعادة وهي تكاد تذوب خجلًا، وتَليا الفاتحة.

فيلا أحمد شوقي - غرفة السفرة

مر يومان منذ قراءة هذه الفاتحة المباركة، وجاءت ريم للفيلا لتلبية دعوة أحمد شوقي وبصحبتها عمها خالد وهشام ليجدوا مائدة عامرة وأسرة أحمد شوقي بأكملها تجلس فيانتظارهم بما فيهم تحسين وعادل، خاصَّةً تحسين الذي رحب بهم بود ليغطي على طريقة استقبال أحمد الفاترة.

تحسين: حللتِ أهلًا يا ريم.

ريم: بوركت يا عماه، شكرًا لذوقك.

حسام وهو يقدم لها أفراد الأسرة: أقدم لكِ رانيا شقيقتي الصغرى.

صافحتها رانيا بتحفظ وفتور

رانيا: أهلًا بكِ يا ريم.

ريم بمجاملة: قال حسام إنك جميلة ويبدو أنه كان مخطئًا؛ فأنت باهرة الجمال يا أختاه.

رانيا بخجل: بل أنتِ الأجمل يا ريم، شكرًا لكِ.

ثمَّ قدم حسام إليها والدته: والدتي هناء هانم المشتولي.

ريم: سيدة المجتمع الراقية، صاحبة الأيادى الخيرة، نجمة نساء صفوة مجتمع بنها الأولى، تحياتى يا أماه.

صافحتها هناء، ولم تقدر على الرد من طلاوة حديثها.

حسام وهو يقدم تحسين إليها: عمي تحسين.

ريم: بطل حرب أكتوبر السابق، كم سعدت حينما عرفت من جدي محمود أننا شاركنا بفرد من العائلة في هذه الحرب المجيدة!

ثم انحنت على يده تقبلها

ريم: اسمح لي بتقبيل هذه اليد التي أذاقت كأس المنون لليهود.

فسحب تحسين يده في خجل ورد: جزاكِ الله خيرًا يا ابنتي.

وتابع حسام تقديم البقية: هذان عمي عادل وأخي عصام.

عصام: مرحبًا يا ريم.

ثم أشير لأبيه: وأخيرًا أبي، أحمد بك شوقي المصري.

صافحت ريم أحمد ببساطة: مرحبًا يا عماه.

أحمد شوقى بهدوء: مازال الوقت باكرًا على كلمة عماه هذه.

ريم: إذًا،فمرحبًا يا أحمد بك.

خالد محمود: مرحبًا بكم جميعًا، أتمنى أن تكونوا جميعًا بخير.

عادل: حمدًا لله على كل شيء، تفضلوا إلى المائدة.

واتَّجه الجميع للمائدة وبدأوا بتناول الطعام، ووجه حسام حديثه لهشام خالد.

حسام: منذ متى لم نجتمع هكذا يا هشام! أوحشني لقاؤك؟

هشام وهو يهز كتفيه بلا مبالاة: غالبًا منذ حفل الإفطار الرمضاني السنوي للشركة، عندما تحبون دعوة وسائل الإعلام لنقل هذا الحدث الجبار لتظهروا كم أنتم أناس أخيار يا رفيق عمري.

هنا نظر خالد لهشام بغضب وتحفز، وأطلقت رانيا ضحكة عالية سرعان ما كتمتها بنظرة صارمة من الأسرة.

أحمد: أتعرف يا هشام، لولا طريقتك هذه لكنت أحد الأعمدة الرئيسية في الشركة؛ فأنت أبرع محاسب قانوني تعرفه بنها بأكملها، ولكنك تصر على العمل لحساب منافسينا، تُرى لماذا؟

هشام: ربما لأنهم منافسيك يا أحمد بك، فأنا طوال عمري أكره الاحتكار في التجارة، سيطرة طرف واحد على مقدرات الأمور؛ لذا فبتواجدي مع المنافسين أعيد الأمور لنصابها الصحيح.

عادل: منذ أن خلقت الأسواق والمنافسة والسيطرة عليها هدف يسعى الجميع إليه، هذه هي طبيعة الأمور.

هشام: إذا كانت السيطرة بغرض أن يكون هناك فردٌ فقط هو المتحكم بزمام الأمور فأين سيذهب الباقون؟ هب أنكم أصبحتم الشركة الوحيدة التي تسيطر على مجال الأغذية في السوق، كم شركة إلى جانبكم ستغلق أبوابها ويشرد عمالها لعدم وفاء مالكها بأجور العمال؟!

تحسين: لهذا إذًا اخترت الانضمام لأقوى منافسينا في السوق.

هشام: فقط لإحداث نوعٍ من التوازن المطلوب يا عماه، وليبقى في السوق نوعٌ من العدالة ولو قليلًا، حتى يجد الفقراء قوت يومهم.

أحمد: وإذا كنا قد اخترنا التخلي عن المجال وترك الأمر برمته لشركتك أنت لتتسيد السوق، ماذا سوف تفعل؟

هشام: أستقيل فورًا.

رانيا باندهاش: لماذا؟

هشام : حتى أتجه لشركة أخرى أدير أمورها وتنافسُ شركتي القديمة فيعود التوازن للسوق، لست ضد المنافسة في التجارة ولكني ضد المنافسات اللا أخلاقية للاستئثار بها لصالح كيان ما ضد غيره.

هناء بقسوة: ومادام الأمر هكذا لماذا لا تتركونا وشأننا فنختار ما نحب أن نعمل فيه دون تعقيدات؟

هنا تنحنحت ريم وأجابت بأدب: لأنالأموال ليست أموالكم فقط يا سيدتي، هناك شركاء لكم وهم نحن؛ لذا يجبُ أن تعود الأمور لنصابها أولًا ثم نتحدث عن الخطط المستقبلية.

أحمد شوقي:ومن أخبركِ أنك تمتلكين من هذه الثروة جنيهًا واحدًا؟! نسيت، سأتحدث بلغتك، أقصد شيكل واحد.

حسام معترضًا: أبي!

ريم: انتظر يا حسام، إن كان هناك طرفٌ هنا يتحدث بلغة الشيكل فالأجدر أن تكون أنت وليس أنا لأنك من اخترت فى النهاية أن تتعاون مع اليهود وليس نحن، أما نحن في فلسطين فنتعامل مع الشيكل على أنه وسيلة للبيع والشراء وليس غاية نسعىإليها.

أحمد: انظرى لأرض الواقع يا ريم، نحن هنا الطرف الأقوى في المعادلة، الحقيقة التي تفرض نفسها على الجميع ولا سبيل لتغييرها أبدًا.

ريم: أتعلم، حينما جاء المحتل واغتصب أراضي فلسطين وهوَّد قراها وأصر على محو كثير منها من الوجود كان يستخدم

الزراعة، تخيل ..الزراعة، كان يزرعون الصنوبر حتى تنمو أشجاره عالية لتغطي مدرجات جبال القرى الفلسطينية التي كانوا يُهجرون منها العرب ويسمون قرى أخرى بأسماء جديدة، بل وصل بهم الحال لتزييف القبور الخاصة بهم وجعلها قديمة فقط ليثبتوا للعالم أجمع أنهم أصحاب أرض منذ القدم، ولكن مع حرائق الغابات التي ملأت العالم احترقت أشجار الصنوبر وظهرت معالم القرى القديمة رغمًا عن أنوفهم، ظهرت الحقيقة التي طالما أخفوها عن الجميع؛ لذا واسمح لي باستعارة جملتك أنا هنا الحقيقة الوحيدة التي تفرض نفسها على الجميع ولا سبيل لتغييرها يا أحمد بك.

أحمد وهو ينظر لها بسخرية: يبدو أن كثرة حوارك مع د.محمود ساهم في رفع معلوماتك التاريخية.

ريم: لي الشرف أنني أتعلم من هذه القيمة والقامة يا سيدي الفاضل.

وهنا قطع خالد الحديث: بكل صراحة يا أحمد بك وبلا مقدماتماذا تريدون من ريم؟ أو بالأحري ماذا تريدون منَّا؟!

أحمد: أن تتنازل ريم عن القضية.

ريم: والمقابل؟!

أحمد: مبلغٌ ضخم من المال يتم إيداعه في حسابك البنكي ومثله لدكتور محمود، هذا المبلغ سيجعل منكما أثرياءً لنهاية الدهر.

ريم: هل يوازي المبلغ كل حق لدينا عندك؟

عادل: لا، ولكنه يكفي لتعيشوا حياة كريمة أنتِ ومن يأتي من خلفك للأبد.

ريم: مالا يدرك كله لا يترك كله يا سيدي.

عصام بعصبية: ماذا تريدين إذًا.

ريم: حقي الطبيعي في الثروة، ثلاثة أرباع التركة، ربعان لي والربع الثالث لجدتي الزهراء.

عصام بإصرار: هكذا دون تعب أو جهد منكم، تريدون الاستيلاء على كل ما بنيناه في الماضي، يا لها من مزحة!

خالد: وأنتم حينما استوليتم على أملاكنا ألم تفكروا أن تتركوا لنا فرصة إدارة الأمر؟ من أخبركم أننا مجرد أهل علم لا باع لنا في التجارة والبيع والشراء، أيُّ منطق اتبعتموه؟

هشام: منطق الجشع والاستغلال والطمع.

وقف عصام مواجهًا هشام وصرخ: احفظ أدبك يا هذا!

هشام بتحدٍّ: ماذا إن لم أحفظه!

تدخَّل حسام وباعد بينهما: صمتًا أنتما الاثنين، لا مجال للعراك هنا، نحن هنا للحل وليس الشجار.

ريم: يبدو أنكم تعودتم هنا على منطق القوة وفرض الأمور بالبلطجة و...

قاطعها حسام بقوة وحزم: ريم، كُفي، إنهم أهلي!

ريم باختناق وصوت باكٍ: وهشام وعمي خالد أهلي أيضًا يا حسام.

تحسين محاولًا تلطيف الأجواء: فليجلس الجميع ويهدأ، في النهاية نحن جميعًا ذوي قربى، لنحكم صوت العقل.

جلس الجميع ونظرت ريم خلسة لحسام نظرات لوم، وبادلها نظرات اعتذار وشفقه لاحظها أحمد الذى بدأ الحديث: حسنًا، هذا هو أقصى ما فى جعبتنا من حلول، عدا هذا فالقضاء

المصري لا يغلق بابه بوجه أحد، وحتى إن حكم لكِ في هذه القضية فالتنفيذ شيء آخر.

ريم وهي تنهض: حسنًا، سنلتقي في قاعة المحكمة، وليحكم الله بيننا من فوق سبع سماوات.

***

منزل الزهراء - غرفة ريم

كانت ريم تجلس على سريرها تقلب صورًا قديمة لأبيها وأمها وعائلتها، وتبكي بحرقة كلما تذكرت نهرَ حسام لها، وبين الحين والآخر يرتفع صوت الهاتف بنغمة حسام المميزة فتنظر لها ثم تبكي وترفض الرد، هنا دوت طرقات على باب غرفتها فمسحت دموعها وتماسكت لتسأل عن الطارق.

ريم: من ؟

ليأتي صوت هشام من الخارج: أنا يا ريم، هل خلدتِ للنوم؟

وضعت على رأسها غطاء الرأس وأحكمته، ثم دعته للدخول.

ريم: تفضل يا أخي.

دخل هشام ضاحكًا: كيف حال حسناء غزة؟

ريم: بخير يا أخي، لا تقلق، تعودت على الأزمات وأصبحت جزءًا لا يتجزأ مني.

هشام: امم، حسنًا، إن قلت لك أنَّ هناك عرضًا يتضمن نزهة ليلية بشارع المعز أقدم شوارع القاهرة القديمة، ورحلة لمحلات الصاغة في الغورية، وسهرة على أنغام العود، وسننهي اليوم بالصلاة في مسجد الحسين رضي الله عنه، ماذا ستقولين؟

نظرت ريم بشغف لهشام، ثم تردَّدت قليلًا قبل الرد، ثم قالت: إن الوقت متأخر، حقيقةً لا أعرف ماذا أقول.

هشام منهيًا الحديث: حسنًا، يبدو أنكِ متعبة، لا بأس، تصبحين على خير.

وهنا اتَّجه هشام للباب مُغادرًا الغرفة فأوقفه ريم: انتظر يا هشام

هشام: ماذا؟

ريم: انتظر في الخارج حتى أبدل ملابسي، ولن أتأخر.

هشام ضاحكًا: يا للنساء.

***

شارع المعز

كانت ريم تمشي بانبهار، تتطلع إلى المساجد والآثار الإسلامية، وحركة المارة والمقاهي المنتشرة بالمنطقة وهشام يحكي لها تاريخ المباني الأثرية، وما تحتويه من نقوش إسلامية جذابةوهي تستمع له فى اهتمام، ثم توقفا عند مقهى الفيشاوي ليحتسيا الشاي على أنغام فرقة ما تعزف ألحانًا لأم كلثوم، ولم يمر قليل من الوقت حتى أخذت الفرقة تعزف لحنًا مميزا لأم كلثوم، لحن أغنية أنساك، وكانت هذه الأغنية المفضلة لريم فابتسمت بسعادة وقالت لهشام: مرحى،إنها أغنيتي المفضلة.

هشام: حقًّا! يا لها من مصادفة سعيدة! استمتعي إذًا!

ثم اقترب منها عازف الكمان وهو يعزف اللحن، وأخرج لها عقدًا من الفل، ووردة حمراء قدمها إليها لتنظر له في دهشة.

ريم: وورودي المفضلة!

هشام: مجرد مصادفة أخرى،يا لكِ من محظوظة!

ريم بشك: يبدو كذلك، لا أعلم على وجه اليقين.

ثم قدِم إليها نادل من المكان بصندوق هدايا صغير وقدَّمه لها.

ريم: ما هذا؟

النادل: طرد خاص للآنسة ريم عز الدين.

نظرت ريم لهشام بدهشة أكبر وقالت: وطرد أيضًا، ماذا يجري؟

هشام: افتحيه إذًا.

فتحة ريم الصندوق لترى ما يحتويه الطرد فوجدت ما يثير دهشتها أكثر، طبق مغلف من أطباق الطعام به بعض البطاطا المشوية والذرة وكيس صغير من البقلاوة.

وجهت ريم كلامها بحزم لهشام: هشام، أين هو؟

هشام: من تقصدين؟

ريم: حسام، من دبرت معه هذه المكيدة؟

هشام ضاحكًا: ها هو ذا خلفك.

التفت لتجد حسام يربت على كتفها فأزاحت يده في غلظة وحدَّثت هشام: هيا يا هشام قم بإعادتي للبيت الآن، وفورًا.

حسام بخجل وإصرار: ألهذه الدرجة؟! اهدئي، مازالت السهرة في ساعاتها الأولى.

ريم بغيظ: اللعنة!كان يجب أن أفهم منذ بداية عزف الفرقة والورود.

هشام بجدية: مفاجأة سارة، أليس كذلك؟

ريم: قاطعني يا هشام ولا تحدثني.

انصرف هشام وهو يقول لها: حسنًا كما تريدين، سهرة سعيدة، حاولا الاستمتاع قدر المستطاع.

وغادر المكان بينما تنادي عليه.

ريم: هشام! أيها الوغد!سأريك مغبَّة فعلتك!

ثم استدارت لتنصرف فأوقفها حسام: يا للكِ من عنيدة، اسمعيني أولًا، أعتذر، لم أرد أن يقول أحد عن زوجة المستقبل أنها سليطة اللسان أو متجاوزة.

ريم: متجاوزة! لقد حاولت التحكم بأعصابي أكثر من مرة وكنت أبحث عن ردود لائقةوأنت تنهرني وتزجرني أمامهم، هيا انصرف مع الوغد الذي دبر لك كل هذا.

حسام: صديقي وأخي ولن يرفض لي مطلبًا، ثمّ إنها ليست أول مرة ..

قاطعته هي: جيد أن اعترفت بلسانك أنها ليست أول مرة حتى أعرف من أنت، يبدو أنك متعدد العلاقات أيضًا، حسنًا، لننس كل شيء حتى الفاتحة.

حسام: انتهينا، أطلب منك الصفح يا ريم، لم أستطع النوم وأنا أعرف أنني تسببت بغضبك.

ريم: يالرقة مشاعرك!

حسام: أنا دومًا هكذا، والآن ماذا بعد؟

ريم: ماذا تريد؟

حسام وهو يمسك يدها: حبيبتي ..أريد حبيبتي.

نزعت ريم يدها في حياء: اترك يديولا تستغل الموقف كعادة الرجال، إن هي إلا فاتحة وربما تتغير الأمور.

حسام: عنيدة، والآن ماذا سنفعل؟

ريم: نغادر ونذهب للبيت، هذا هو الرأي الصائب.

حسام بغيظ وهو يدفعها أمامه برفق: هيا، انطلقي أمامي، تحركي لكي نكمل الجولة.

ريم: لا تدفعني، انطلق أنت وأنا خلفك.

***

مسجد الإمام الحسين

تعلقت ريم بأسوار المقصورة الخضراء، وانتابتها حالة من الخشوع وهي تتمتم بالأدعية وآيات القرآن، واحترم حسام هذه اللحظة وتركها حتى انتهت.

حسام: تقبل الله!

ريم: منا ومنك.

حسام: تُرى أكان لي ذكر في دعائك يا ريم؟

ريم: اطمئن، كان لك نصيب الأسد.

حسام: رباه، يعلم الله وحده بماذا دعوتِ.

ريم: حسنًا، هيا بنا لقد تأخر الوقت، وبدأت الشمس فى البزوغ.

حسام: ريم، رغم أن أبي هو خصمك المباشر في القضية فلن يكون معنى هذا أنني سأكون غير محايد، سأختار جانب الحق في القضية، أنتِ.

ريم: وما الذى يجبرك على هذا الاختيار؟

حسام: قلبي يا ريم الذى اخترت أن تكوني أنتِ ساكنته الوحيدة، ولن أسمح لأحد أن تمتد يداه لكِ بمكروه.

ريم: الأهم من هذا أن تكون مؤمنًا بعدالة قضيتي يا حسام، أنت تعرف أنني لست المستفيدة الوحيدة من هذه الثروة، هناك الكثير من الأسر البائسة من فرع عبد القادر مهنا التي تحلم ببعض الرخاء من وراء تحكمي في هذه الثروة، لقد عانوا كثيرًا من الفقر والآن آن الأوان ليستريحوا ولو قليلًا.

حسام: لذا يجب أن تسمعيني جيدًا يا ريم، هناك قرار ينقصنا اتخاذه قبل جلسة المحكمة، إجراءٌ سيكون خط الدفاع الأخير ضد ما يفعله أبي سامحه الله.

ريم: ما هذا الإجراء؟!

حسام: أخبريني أولًا: أتحبينني أم أُجبرتِ على هذا بسبب جدتنا الزهراء؟

ريم بحيرة: حسام، أنت لا تدرك ما أنا فيه، لقد فقدتُ كل ما كان يمتُّ لي بصلة قرابة في غزة، أبى وأمي وشقيقتي الصغرى(روبا) وأخي الأصغر(يزن) الذي لم يتجاوز الثالثة

عشر، وكنت في الخارج وقتها ساعة القذف، ولكم تمنيتُ ألا أكون وحدي في هذا اليوم وأن أذهب معهم ولكنَّ الله اصطفاهم هُم، ولم تُكتب لي الشهادة مِثلهم..وبعدها كنت سأسألُ نفسي لماذا؟ لماذا أنا بالذات؟!

حتى وجدتُ الصندوق والرسالة التي تمني فيها جدي أن يذهب أحدٌ من نسله إلى مصر لجمع شتات عائلته، ساعتها تجدَّد الأملُ لدي، وشعرتُ أنني لن أصبح فرعًا مقطوعًا إلى هذا الحد، وكم اشتدَّت سعادتي بهذا! لولا موضوع الثروة الذي مرَّر مذاق التجربة كلها، وفي النهاية انظر إلى ما نحن فيه، أهلي الجدد منقسمينلقسمين: قسمٌ يرحب بي وقسمٌ يراني لصة محتالة تريد سرقتهم، وبين هذا وذاك جئت أنت يا حسام لتطرق باب قلبي في ظرف غاية في الدقة، قل لي يا حسام: هل من الممكن أن أثق بك؟ أن أجعلك مسئولًا عن زمام أمري وحياتي للأبد؟!

أن تكون سندي وملجأً لي، أن تكون عوضًا لي عن كل من رحلوا، هل تقدر أن تقوم بهذا؟كلها أيام قليلة وسأكونُ في مواجهة أهلك بالمحكمة.

ثم بكت بشدة فاحتضنها وضمها إليه وقبَّل رأسها قائلًا: ثقي بي، ولا تُلقي بالًا لأي شيء، هيا يا ريم.

ريم: إلى أين؟

حسام: أخبرتُكِ من قبل أن تثقي بي

***

المحكمة

كان يومُ المحاكمة حافِلًا، العديدُ من وسائل الإعلام حضرت، وكانت المرافعاتُ سِجالًا بين الفريقين، فى الوقت الذي أبدت فيه يارا فنونًا رفيعة من الأداء استطاعت بها إيضاح أن ريم هي صاحبة الملكية الرسمية للثروة بموجب صكوك الملكية، وبحكم أنها الوريثة الوحيدة الباقية على قيد الحياة من أسرة عبد القادر مهنا، وكان محامي الفريق الآخر يوضح أنه لا يوجد لدى موكليه أي سوءٍ للنية، وأنَّ انتفاعهم بالأرض محل النزاع وقتها جاء لعدم وجود وريث وانقطاع الأخبار عن عبد القادر مهنا وإخوته، وأنَّ العرف السائد في الأرياف وقتها كان أن الفتاة لا ترث؛ لذا لم ترث الزهراء نصيبها من شقيقها عبد القادر ولكنها كانت تأخذ نصيبها من ريع الأرض، وأنهم بدورهم استطاعوا تنمية الثروة وزيادتها لذا كان قرار المحكمة بإحالة القضية برمتها للجنة من الخبراء للدراسة وإبداء الرأي.

بعد المرافعة خرج الجميع من المحكمة منقسمين لفرقتين: فرقه تري أن الأمل بدأ يلوح في الأفق، والثانية ترى أن موضوع الميراث اتَّخذ منعطفًا خطرًا من الممكن أن يودي بهم للهاوية وهي بالطبع فرقة أحمد شوقي المصري،والذي غادر

دون الإدلاء بأيَّة تصريح لوسائل الإعلام، وكذلك ريم، أما هشام فقد اكتفى بعبارات من طراز سننتظر ما ستفسر عنه الأحداث.

وانتهى اليوم دون حل أوربط في انتظار قرار لجنة الخبراء وفض المنازعات، وبعد أسبوعين حان وقت إعلان نتيجة اللجنة ووقف الجميع على أهبة الاستعداد، ارتسمت على ريم ملامح الترقُّب الحذِر في الوقت الذى كسا فيه التوتر وجوه عائلة أحمد شوقي الذي كاد القلق يقتله مع طرقات القاضي بالمطرقه لتنظيم الجلسة.

القاضي: القضية رقم ٢٣٥٠ لسنة ٢٠٢١، النزاع على ملكية ممتلكات مدنيةبين كل من أحمد شوقي المصري وريم عز الدين المصري، حكمت المحكمة وبعد الاطلاع على توصيات لجنة خبراء فض المنازعات، كان القرار كالآتي:

أولًا: من الواضح طبقًا لمستندات الملكية المُقدمة من ريم عزالدين المصري صحة امتلاكها لقطع من الأراضي تُقدَّر بحوالي عشرة فدادين في منطقة بنها العسل إلى جانب قطعتي

أرض زمام غرب بنها بمساحة فدان ونصف، مقامٌ عليها معرض لمنتجات غذائية بعنوان المصري جروب.

ثانيًا: قطع الأرض الحالية المقامة عليها مجموعة مصانع المصريآلت بحق الانتفاع - لعدم ظهور وريث مباشر-للسيد أحمد شوقي المصري ما عدا أراضى الدولة التي آلت إليه بموجب قانون الخصخصة.

ثالثًا: انتهت لجنة فض المنازعات بتقدير ثمن متر الأرض بالثمن الحالي، وبالتالي يتم تعويض ريم عز الدين المصري بمبلغ ٣٤ مليون جنيه، وهو مايوازي ثمن الأرض حاليًا مع ثبات ملكية المباني الإدارية للسيد أحمد شوقي المصري، وإلزامه بالمصاريف والأتعاب.

وهنا ضجَّت القاعه كلها بصيحات الانتصار من كل من حضر من عمال المصانع وهشام، وكذلك ريم التي عقدت الفرحة لسانها فبكت بغزارة، بينما كان رد فعل حسام حياديًّا لأقصي درجة، ورد فعل أحمد شوقي هادئًالحدٍّ مخيف، ثمَّ هدأت القاعه بطرقات القاضي لتتحدث يارا.

يارا: سيدي القاضي، أطالب بالحجز على أموال وأرصدة السيد أحمد شوقي المصري لاستيفاء قيمة التعويض،ولضمان التزامه بتنفيذ قرار المحكمة.

ليضيف القاضي: ويتم أيضًا استصدار كشف حساب لأموال المصري جروب من البنوك المصرية، ووقف التعامل على حسابات الشركة لأجل غير مسمى لحين تنفيذ قرار التعويض.

تزداد القاعه هتافات تأييد للقرار ويغادر أحمد القاعه مع وجيه وتحسين .

منزل الزهراء

كان منزل الزهراء في حالة سعادة غامرة بالقرار، وأخذت مريم توزع المشروبات احتفالًا بهذه المناسبة بينما ريم وحسام يتلقيان التهاني من فقراء العائلة على هذا الخبر بعد أن أصرت الزهراء على عمل وليمة لهم احتفالًا بالخبر السعيد، وبقدوم الليل اجتمعت الأسرة في الصالون للاحتفال وانتاب حسام الشرود مما لفت انتباه ريم.

ريم: لا أعرف ماذا أقول، ولكن إرادة الله هي ما تحققت في النهاية.

حسام: ونعم بالله، لا تشغلي رأسك بعاقبة الأمور، احتفلي اليوم بهذا الانتصار؛ ففي النهاية هناك قلوب العشرات تنتظر هذه الأموال لتحسِّن من أحوالها وأنت أصبحت أملهم الوحيد.

ريم: أتمنى أن أكون على قدر المسئولية، ووسيلة لإسعادهم.

حسام: إن شاء الله.

ثم فجأة دوَّت طرقات عنيفة على الباب فانزعج الجميع، وخرج هشام ليفتح الباب فوجد ثلة من رجال الشرطة يقفون خارجًا.

هشام: خيرًا؟

أحد رجال الشرطة: أين ريم عز الدين المصري؟

حسام بقلق: موجودة بالداخل.

الرجل: فلتأتِ حالًا معنا للخارج.

حسام بعصبية: من أنتم؟ وماذا تريدون؟

لتخرج ريم بقلق: خيرًا يا سيدي، أنا ريم.

الرجل: زيارة سريعة لمباحث الأمن الوطني بالقاهرة.

حسام:ماذا دهاكم؟

الرجل بغِلظة: تحدث بأدب يا حسام بك، ما هي إلا بضع ساعات وتأتي إليكم، مجرد استجواب.

ريم: لا تقلق يا حسام، لا تخش شيئًا، هيا يا سيدي.

جذبها حسام من يدها وقال: انتظري، سآتي معك.

الرجل: لا، هي فقط.

ريم: لا تقلق، اهدأ، سأرجع إليك؟

هشام: إنها مؤامرة من أبيك يا حسام.

وانصرف الشرطي بريم وسط ذهول الجميع ودموع حسام الذي يتبعها.

***

فيلا أحمد شوقي

كان جميع أفراد الأسرة مجتمعين في البهو الرئيسي للفيلا، فى حين دخل حسام ثائرًا بشدة.

حسام: لهذه الدرجة يا أبي! لماذا؟ لماذا يا أبي؟! ماذا فعلت لك ريم؟ طالبت فقط بحقها فرأيتها أنت جريمة لا تغتفر.

عصام بتوتر: اجلس ياحسام، أنت لا تعرف كيف تجري الأمور، لا شأن لنا بهذا الأمر.

هناء: دعه يا عصام، لقد جن جنونه وسبت عقله تلك الفلسطينية.

حسام: هذه حريتي أنا وحياتي أنا يا أماه، وأنا فقط من يقرر كيف تسير.

أحمد: تمامًا كما قلت، وأنا أيضًا هذه أموالي أنا وأنا من أقرر ما أفعله للدفاع عنها، لن أضيع عمرًا مضى بأكمله وفي النهاية تأتي هذه اللعينه لتقطف ثمرة جهدي دون تعب.

حسام: ولكنه حقها وإرثها.

أحمد بإصرار وغلظة: هذا حقي أنا، ولي مطلق الحرية في اتخاذ ما يلزم لحمايته.

حسام: وهذه زوجتي يا أبي.

أصيب الجميع بالدهشة والمفاجأة: نعم كما سمعتم، هذه زوجتي ولن أتهاون في حقٍّ من حقوقها.

لتصرخ هناء: أجننت! كيف هذا؟ ومتى؟ هل مات أبوك كي لا تخبره؟

حسام: نعم مات، حينما اهتم بجمع الأموال بالباطل وحاد عن الحق، ومنذ هذه اللحظة لم يعد لكما حقوق تجاهي إلا السؤال عنكما بالمعروف كما نص الله في كتابه الكريم، ومنذ الآن أيضًا سأترك هذا المكان الذي صار قلعةً من قلاع الظلم وأكل الحقوق بالباطل.

وانصرف،فتحدثت هناء مع أحمد بحرقة: أرأيت؟

فتناول أحمد هاتفه ليجري مكالمة ما.

***

القاهرة - مباحث الأمن الوطني- بعد مرور ثلاثة أشهر

أكثر من ثلاثة أشهر قضتهم ريم في الحبس الاحتياطي والتهمة اشتباه فى تكوين جماعة ارهابية بغرض احداث بلبلة في البلاد وقلب نظام الحكم, كانت تبكي كثيراً في أول الأمر وتسأل نفسها كثيراَ أين حسام مما هي فيه الان ؟ كيف طاوعه قلبه علي هجرها طوال هذه المدة ؟ فيجيبها قلبها أن هناك خطب ما ولا ريب حدث له وأنها لا يجب أن تفقد ثقتها في مشاعره تجاهها .

وبالتدريج اعتادت حياة المعتقل والتحقيقات المستمرة التي طالبت فيها بتوكيل محام للدفاع عنها

دون جدوي حتي جاء هذا اليوم الذي استدعوها فيه الي التحقيق لتجد محققاَ جديداَ هناك .

دخلت ريم لغرفة التحقيق برفقة جندي بعد مضي عدة أيام قليلة على الواقعة، مرتدية جلبابًا أبيض بسيطًا، وارتسم على محياها هدوءٌ غريب وثبات ظاهر لاحظه المحقق.

الجندي: ريم عز الدين المصري.

المحقق: اتركها وانصرف.

انصرف الجندى وأغلق الباب ليأمرها المحقق بالجلوس فجلست.

المحقق وهو يقرأ من ملف أمامه: ريم عزالدين المصري، ٢٣ عام، مواليد غزة بفلسطين، عام ٩٧، كان والدك أحد رجال المقاومة الفلسطينية، لقي حتفه مع أسرتك في أحداث غزة الأخيرة، حاصلة على ليسانس الحقوق، مُدونة، ولكِ اهتمامات بنشر وتغطية القضية الفلسطينية بأكثر من لغة على مواقع التواصل، وصاحبة ويب سايت (هولوكوست فلسطين والعرب).

ثم صمت قليلًا وسألها: لماذا اخترت هذا العنوان الشائك والمثير للجدل؟

ريم: كي أقنع العالم أنه مادام مؤمنًا بوجود المحرقة الألمانية لليهود - التي لا وجود لها على أرض الواقع - ومتحمسًا لدعم

اليهود فيجب أن يتحمس أيضًا لمناصرة الشعب الفلسطيني ضد مذابح اليهود المثبتة ضده أيضًا، وألا يكيل بمكيالين.

المحقق: جيد، وهل تظنين أنكِ تبلين حسنًا في هذا المضمار.

ريم: نعم، وبكل تأكيد، وسيأتي يومٌ ما وننتصر بأمر الله.

المحقق: وما دليلك؟

ريم: القنبلة الديموغرافية يا سيدي.

المحقق: وماذا تعنين بهذا؟

ريم: رغم الحصار على غزة وقلة الموارد فأعداد سكان قطاع غزة قاربت على ما يقرب من ثلاثة مليون نسمة أي ما يقرب من نصف عدد العدو الصهيوني، فما بالك ببقيَّةسكان رام الله والضفه الغربية؟ ناهيك عن تقلص أعداد اليهود من وقت لآخر وهجرتهم من إسرائيل إلى دولهم التي أتوا منها، وأصبح الأمر وكأنه هجرة لليهود من أوروبا إلى إسرائيل ثم نزوحهم مرة أخري من إسرئيل إلى أوروبا لعدم شعورهم بالأمان في الأراضي المحتلة.

المحقق: تقول التقارير أنكِ تلقيتِ تدريبات عسكرية على يد حماس، ما صحة هذا القول؟

ريم: ان شئت الدقة يا سيدي .كان أبي من يقوم بتدريبي وغالبية النساء هناك تلقوا تدريبات مماثلة .نحن نعيش في وسط عدائي يا سيدي ويجب أن تكون لدينا القدرة على الدفاع عن أنفسنا. تماما كما يتدرب نساء مصر ليدافعوا عن أنفسهن ضد التحرش أليس هذا سبباً كافياً ؟ ونحن هناك نتدرب لحماية أنفسنا من الموت ألا يعد هذا سبباً هاماً؟

المحقق: كيف تسير إعادة الإعمار في غزة؟

ريم: بخطوات سريعة، إن الأمر المباشر الذي أصدره الرئيس السيسي بسرعة إعمار غزة أمسى أمرًا واقعًا نعيشه بفخر؛ لأننا نثق أن الهدف الرئيس ليس إعادة الإعمار فحسب ولكن الهدف هو وضع قدمٍ مصرية في غزة لتغيير قواعد اللعبة السياسية مع العدو، وضمان عدم تكرار العدوان والقصف.

المحقق: كيف ترين وضع مصر الأن يا ريم؟

صمتت ريم ثم اختارت اجابة منطقية

ريم: وكيف تري أنت وضع سوريا والعراق وليبيا واليمن الي جانب مصر؟ أي الأوضاع أفضل اليك يا سيدي؟ المحقق: تراوغين كالعادة , سأعتبر حديثك هذا بمثابة إجابة , حسنا يا ريم ...يمكنك الانصراف الأن والمغادرة .

ريم بدهشة: ولم ألقيتم القبض عليَّإ اذًا؟

المحقق: مجرد بلاغ من مجهول، وكإجراءات أمنية كان يجب استجوابك، وها نحن نقول لكِ تفضلي معزَّزةً مكرمة في بلدك مصر، نحن لا نلقي القبض على الناس جزافًا يا ريم.

ريم: وهل كان من الطبيعي اعتقالي لثلاثة أشهر كاملة؟

المحقق: لاحظي أنه لم يتم تقديمك للمحاكمة، وأننا كنا نقوم بالتحريات اللازمة تجاه البلاغ الذي قُدم في حقك حتى تيقنَّا أنه كيدي، وجلستِ هنا معززة مكرمة.

ريم: شكرًا لك يا سيدي المحقق.

المحقق: آمل أن تبلي بلاءً حسنًا في الخارج يا ريم.

ريم: بإذن الله تعالى، شكرًا ثانية.

منزل الزهراء

كانت أصوات أذان الفجر تتصاعد من المسجد القريب من المنزل، والزهراء تتصفح مصحفها بهدوء، بينما د.محمود يصلي بجوارها ركعتي السنة قبل أن يرتفع جرس الباب، رفعت رأسها بهدوء ونادت على هشام.

الزهراء: هشام! هشام! افتح الباب يا بُني، لا ريب أنها ريم.

هشام وهو يخرج من غرفته ليفتح الباب: ستكون ريم إن شاء الله، لم أعد أشك بتاتًا أنكِ تعلمين كل شيء.

فتح هشام الباب لتدخل ريم.

ريم: هشام، كيف حالك يا أخي؟

هشام بفرحة: ريم! يا لها من مفاجأة!

لتدخل ريم، وترتمي في أحضان الزهراء باكية، وعندما أنهي محمود صلاته ربَّت على رأسها وعانقها.

ريم: جدي، أوحشتني كثيرًا.

د.محمود: وأنتِ يا غالية، كيف أنتِ الآن يا ريم؟

ريم: بخير، كيف حالكم جميعًا؟ كيف حالك يا جدتي؟

الزهراء: أكثر من ثلاثة أشهرمرت على حجزكِ يا بنيتي، ولم تكن هناك أية وسيلة للتواصل وكاد القلق يعصف بنا.

هشام: لقد أصبحتِ أكثر جمالًا ونضارة في السجن يا فتاة.

ريم: يالك من مكايد يا هشام! قل لي، أهناك أخبار عن حسام؟

صمت الجميع، وارتسمت علامات القلق على ملامحهم فانزعجت ريم.

ريم: أين حسام؟ أين زوجي يا جدتي؟

د.محمود: محتجزٌ هو الآخر يا ريم، قبض عليه الأمن الوطني يا بنيتي بتهمة تكدير الأمن العام بنشر أخبار كاذبة.

ريم: كيف هذا؟

هشام: هناك من قام بتهكير حسابه، ونشر بوستات تهاجم النظام وتدعو لعصيانٍ مدني، وللأسف تم القبض عليه وتمت محاكمته والحكم بحبسه لمُدَّة عامين.

ريم وهي تبكي: لماذا يا رب؟ لا إله إلا الله، لا أصدق أن هذا أبوه.

د.محمود : لنا الله يا بنيتي، اتصل بك إياد عدة مرات، وحاوت يارا كثيرًا أن تتواصل مع أي مسؤول ولكن دون جدوى.

الزهراء: والعمل، كيف ستدور الأمور الآن؟

ريم: وتم وقف القضية أيضًا بالطبع، يا لها من أخبار مشجعة!

ثم نظرت حولها وصرخت: أين هاتفي؟

هشام: في درج الكومود، بجوار سريرك.

وتركتهم واتجهت للداخل لتجري مكالمة.

ريم: السلام عليكم، كيف حالكم؟ أنا ريم، بخير لا تقلقوا، فقط انتظروا مني مكالمة قريبًا جدًّا، وأعدوا لي أغراضي، حسنًا، في غضون أيام قليلة، في أمان الله.

الزهراء: علام تنوين يا ريم؟

ريم: لا تقلقي يا جدتي، سأتدبر أموري جيدًا، فقط عندي زيارة لا بد من القيام بها.

***

مكتب أحمد شوقي

دوَّت طرقات على باب مكتب أحمد،ودخلت سكرتيرة أحمد للمكتب.

السكرتيرة: سيدي، الآنسة ريم عز الدين.

دخلت ريم وأزاحتها من الطريق

ريم: أفسحي الطريق، لا أحتاج موافقةً لكي أدخل ممتلكاتي.

أحمد بسخرية: هل قاموا بالإفراج عنكِ أخيرًا، مرحى!

ريم: كيف طاوعك قلبك على المساهمة في حبس ولدك يا أحمد بك؟

أحمد: لأنه ابني، لأحميه من نفسه، وفي الوقت المناسب سيخرج، فقط إن كان يهمك أمره.

ريم: أتساومني على خروج زوجي؟

أحمد باستنكار: زوجك! لقد نجحتِ في غوايته، أين كان عقله وقتها؟!

ريم: ماذا تريد؟

أحمد: أن تتنازلي عن القضية، وستوضع وديعة باسمك في أحد البنوك المصرية قدرها خمسة ملايين جنيه، وقدر نصفهم للزهراء جدتك.

ريم: وزوجي؟

أحمد: ستغادرين وسيطلقك وتتركيه بلا رجعة من حيث أتيت.

ريم: لماذا؟ ألا تعرف الرحمة؟

أحمد: هذا ما أستطيع فعله لكِ.

ريم: وكيف سيتبرَّأ من القضية؟

أحمد: تلك مشكلتي أنا، ستظهر منشورات أخرى من نفس بريده الإليكتروني وهو في السجن بالتالي سيظهر أن الحساب قد تم تهكيره كما قال فعلًا، وبالتالي يفرج عنه فقط في حال استجبتِ لهذه المطالب.

ريم بحزم: حسنًا، انتظر مني مكالمة قريبة.

أحمد: أنا قيد الانتظار، لا تتأخري في الرد.

***

منطقة سجون طرة

فتح باب الحجز ليدخل منه أحد الجنود باسمًا لزنزانة حسام، وألقىإليه بملابس بيضاء.

الجندي: تحمَّم والبس هذا، توجد زيارة مهمة لك.

وضحك بشكل مزعج

حسام: أية زيارة هذه التي أتحمم لأجلها؟!

ثم بعد قليل دخل الجندي الزنزانة، واقتاد حسام من الحجز لممرٍ طويل في نهايته زنزانة، وقفا أمامها وتركه قائلًا: ادخل وسأعود لاصطحابك بعد ساعتين من الآن.

حسام: ماذا هنالك؟

الجندي وهو يغادر: ادخل لتعرف.

دخل حسام الزنزانة ليجد سيدة ترتدي نقابًا وجلبابًا طويلًا ترمُقه من خلف النقاب بأعين دامعة؛ فقال: عفوًا يا سيدتي، هل أعرفكِ؟

كشفت السيدة النقاب ليكتشف أنها ريم؛ فهرع إليها يعانقها في شوق ولهفة.

حسام: ريم، حبيبتي، أكاد لا أصدق عيني، متى أفرجوا عنكِ؟

ونظر لها متعجبًا وسأل: وما هذه الثياب؟!

لتضحك ريم وتقول: ألم تنل إعجابك؟

حسام: لا أفهم ماذا يجري؟

ذهبت إلى باب الزنزانة وأغلقته بإحكام، ثم استدارت إليه ونزعت النقاب والعباءة، وإذ بها تظهر في ثوب قصير مكشوف فاتن مما جعل حسام يفغر فاه من الدهشة.

ريم: ماذا تفعلين؟

ريم: ألستَ زوجي! تحدثت يارا مع محاميك وجعلته بالتوكيل الممنوح له يطلب لك حقك الشرعي في خلوة شرعية، وها نحن، ماذا؟ هل سنضيع الوقت في الكلام؟!

اقترب منها مشدوهًا وضمَّها إليه، وغابا في قبلة طويلة.

منزل الزهراء

لم تكد تمرُّ أيام على زيارة ريم لحسام في السجن حتى جاء موعد رحيل ريم إلى غزة، وكانت الزهراء في حالةٍ من الهم والكمد، ود.محمود كساه الصمت، وخالد يجلس مطرقًا برأسه في ألم حتى خرجت ريم من غرفتها بحقيبة ملابسها.

ريم باكية: لا تصعبوا عليَّ الأمر، والله يا أماه وحده الله يعلم كم ينفطر قلبي وأنا أغادر المكان.

د.محمود: انتصر علينا أحمد شوقي.

خالد: لنا الله يا أبي، لنا الله!

الزهراء: كان يجبُ أن يخرج حسام، وها قد فتح باب إعادة التحقيق في قضيته، أمَّا المبلغ الذي دفعه أحمد فقد وضعته بحسابٍ مشترك بينك يا خالد أنت ومحمود، كبر أبوك ولم يعد يتحمل مشاق انتظار البنوك.

ثم نظرتلريم وقالت: وأنت يا ريم، ماذا ستفعلين خلال الأيام القادمة؟

ريم: قمتُ برفع دعوى خُلع من حسام بأمر من أبيه، وسأذهب إلى غزة لاستلام بيتي الجديد بعد الإعمار، سأمكثُ هناك وفي أقرب فرصة سأعود في زيارات، المهم أن ينعم حسام بالحرية.

خالد: لا تنسينا يا ريم.

ريم: لا تقلق يا عمَّاه.

ثم انحنت على يد الزهراء تُقبلها

الزَّهراء: بوركتِ يا حبيبتي!

ريم: لا تنسيني من الدعاء عند زيارة المدينة المنورة يا جدتي، وخاصة عند قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم.

الزهراء: أنتِ في عقلي وقلبي دومًا يا ريم.

فتح هشام الباب ودخل قائلًا: حان الوقت يا ريم، السيارة جاهزة لرحلة العريش.

عانقتهم وبكت وهي تنصرفُ مع هشام.

***

الروضة الشريفة

دخلت مريم بالزهراء على كرسي متحرك وسط المصلين، ساعدها حارس الأمن ليصبح الكرسي في مواجهة قبر الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم.

الزهراء: شكرًا يا ولدي، بارك الله فيك!

مريم: ما أسعدها من لحظة! السلام عليكم يا رسول الله.

وابتسمت في سعادة غامرة، ثم اتجهت برأسها إلى القبر.

الزهراء: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا جدي، كم أسعدني لقاؤك! اشفع لي عند الله يا رسول الله، كبر سني ووهن عظمي، ولم تعد لي رغبةٌ فى هذه الدنيا، وكل ما أرجوه هو جوار ربي.

مريم باندهاش: بماذا تدعين يا خالتي؟

الزهراء: اصمتي يا مريم.

ثم تكمل حديثها: تقبلني يا رب راضية مرضية، فرحة بلقائك، مقبلة غير مدبرة، وارحم من بعدي أهل بيتي، وأقرَّ عيني بريم وحسام وهشام وخالد (أحفادي)وتوفَّني وأنت راضٍ عني يا كريم.

ثم استدارت بالكرسي وقالت:هلمي يا مريم بنا إلى الصلاة.

ودفعتها مريم إلى الصلاة، وعندالسجود قام الجميع إلا واحدة (الزهراء) تفحَّصتها مريم فوجدتها فارقت الحياة، تقبَّلها الله أخيرًا مُنهيًا رحلتها الطويلة ليتم دفنها في البقيع.

***

مجمع سجون طرة

خرج حسام من الباب الأمامي لسجن المزرعة بعد وفاة الزهراء بثلاثة أشهر، كان مشعثًا مغبرًا،ووجد هشام ويارا في انتظاره.

هشام: حمدًا لله على سلامتك يا أخي.

حسام: شكرًا يا هشام.

ثم نظر ليارا بلوم وسأل: لماذا يا يارا؟ دعوى خلع! ألهذا الحد لا تريدني ريم؟ لقد أرسلت لها إخطار الطلاق على منزل هشام، وحققت لها رغبتها التي لا أفهمها.

يارا: كان هذا بأمر من أبيك حتى يتدخل ويتم مخطته بالإفراج عنك، طلاقك من ريم مقابل الإفراج عنك، هكذا كان يدير الأمور.

حسام: سامحك الله يا أبي، وريم، أين هي الآن؟

هشام: في غزة، وفقدنا كل وسائل الاتصال بها، يبدو أن الأمر برغبة منها.

حسام: ألهذا الحد؟

هشام: طغى أبوك وتجبر يا حسام، ولم يعد أحدٌ قادرًا على إيقافه.

يارا وهي تعبث بهاتفها: مازالت في جعبتي مفاجأة ستزلزل كيانه، أتمنى أن أرى وجهه الآن وهو يشاهد الفيديو الذى سأبعث بهإليه.

ثم أطلقت ضحكة ساخرة عالية؛ فنظر لها هشام بإعجاب ثم ينظر لحسام وقال: قد تبدو منحرفة نوعًا ما، ولكني أعشقها.

وأطلق بدوره ضحكة أخرى وهو يحتضنها أمام حسام الذي تكسو الحيرة ملامحه.

***

كان الجميع يجلس ليطالع الفيديو الذى أرسلته يارا، وتتحدث فيه ريم

ريم : كم كنت أتمنى أن أرى ردة فعلك الآن يا أحمد بك، ولكن ليس هذا ما يهمني الآن، بعد هذا المقطع سترى تسجيلًا للقائنا في مكتبك الفخم وأنت تعترف بأحقيتي في الميراث وتدبيرك وتلفيقك القضايا لي ولحسام ولدك، وقد كان ليارا الفضل الأول في هذا، ومن باب العلم بالشيء فالتسجيل قانوني تمامًا..

وعدتك من قبل أن أختفي من حياة حسام للأبد وها أنا ذي أفي بوعدي؛ لذا إليك تلك الصفقة: أولًا وبعد الإفراج عن حسام ستتقدم يارا ببلاغ إلى الجهات المُختصة ضدك بسبب تلفيق الجرائم لي ولحسام لإجباري على التنازل عن حقي، وهو ما تم بالفعل عن طريق العقد الذي وقعته معك، وهو بمثابة عقد إذعان باطل أجبرت على توقيعه، وبالتالي إن آجلًا أو عاجلًا ستعود إليَّ ثروتي فى النهاية، أما سبب تأخر يارا فيتقديم البلاغ فهي رغبتي بالإفراج عن حسام أولًا وإثبات براءته.

ثانيًا: إن لم ترد الفضيحة لمقامك الرفيع وإجراء التحقيقات معك من قبل السلطات ستقوم فورًا واختصارًا للوقت بتسليم هشام خالد المصري نصيب جدتي الزهراء من التركة، وهو ما يوازي أربعة عشر مليونًا من الجنيهات، وتسليم حسام اثنين وعشرين مليون جنيه وهو نصيبي الشرعي الذى سأتنازل عنه لحسام ليفعل به ما يشاء بغرض إيقاف مخططك لبيع المصانع والشراكة مع اليهود، ويكفيكم أنت وأعمامي الكرام ربع التركة، افعلوا به ما تريدون، فقط احرص أشد الحرص على عدم إهداره.

ثالثًا: وهى المفاجأة التي أدخرها للنهاية، حتى ميراثك الشخصي سيؤول إليَّ أنا في النهاية؛ فقبل طلاقي من حسام كنت حريصة أشد الحرص على نيل حقوقي الشرعية منه، هكذا توجهت إليه تنفيذًا لحقه في الخلوة الشرعية، وبعدها قام حسام بتطليقي طلقةً واحدة، واحزر ماذا حدث!

ثم أخفضت ريم الكاميرا ليُظهر بطنها المنتفخ، وتابعت: كان اللقاء مثمرًا يا أحمد بك، هكذا تعلمنا في فلسطين أننا قد نخسر معركة ولكن لا نخسر حربنا أبدًا.. ولعل أخبار أسرانا الذين

هربوا من السجن باستخدام ملعقة وصلت اليكم . أتعلم ؟ كنت أعلم من البداية أننا لن نتفق أبداَ من المستحيل أن تكون رحلتنا رحلة واحدة .. نحن اخترنا النضال والخلود بينما انت اخترت مساعدة العدو في غرس جذوره الواهية في عالمنا ليؤكد للعالم أجمع أسطورة هويته الكاذبة..

لذا كلمتي الأخيرة اليك يا سيد أحمد .. اترك الشركة يا أحمد بك اتركها بكرامة وغادر بكرامة لحسام واحتفظ بصورة جيدة لنفسك رجل الأعمال الذي أختار أن يترك الأمور لابنه وفضل أن يتقاعد .

لينتهي الفيديو وأحمد شوقي يصاب بالانهيار والهزيمة ترجُّ كيانه، بينما عادل يبتسم بهدوء وكأن الموقف لا يعنيه.

عادل: قضي الأمر يا أحمد، سأرسل إليك المحاسبين لفصل نصيبي من التركة، انتهت الشراكة معك إلى الأبد، وأنت إن أردت الحق يكفيك ما أنت فيه من مصائب، اعتزل وامكث في منزلك وانعم بما تبقى من حياتك.

تحسين: هيا يا عادل، لنرسل أرقَّ التهاني لرئيس مجلس الإدارة الجديد (حسام شوقي المصري).

وانصرفا وتركاه جالسًا في كمدٍ وهم على كرسيه.

***

غزة

كانت ريم تجلس في شرفة منزلها الجديد الذي يعلو مطعمًا فخمًا تم افتتاحه بعد إعادة الإعمار، تعلوه لافتةٌ كتب عليها (ريستوران عزالدين المصري) وتكتب مقالا ما بعد مرور سنة على هذه الأحداث، كان المقال بعنوان (وماذا بعد ؟)

وماذا بعد ؟ لعلكم تتذكرون مشروع "الشرق الأوسط" تلك الكلمة التي كثيرا ما نسمعها دون أن نعرف ما هو المقصود بها أو تاريخها أو معناها.. ولماذا سُمّي "الشرق"، ولماذا "الأوسط"، ولم يُسَمَّ الأيمن أو الأيسر مثلا؟ ثم هو"أوسط" بالنسبةلمن؟

لتبسيط الأمر نشير إلى أن مصطلح (الشرق الأوسط) يرجع إلى بدايات القرن العشرين، وجاءت تسمية الشرق الأوسط في الوثائق الرسمية للمحتلين الأوائل-الإنجليز- ومن بعدهم الأمريكيون لتدل على المنطقة التي تضم البلاد العربية. فكلمة الشرق جاءت لأنها تقع على"شرق العالم الغربي"، أما الأوسط فلأنها في وسط هذا الشرق الذي يمتد من الصين والهند في أقصى الشرق إلى دول المغرب العربي. ويشمل هذا المصطلح

الدول العربية الـ 22 الحالية ومعها تركيا وإيران وإسرائيل.
لم يكن مفهوم "الشرق الأوسط" يشير في الواقع إلى حيز جغرافي معين، بل استند بالأساس إلى نظرة السياسات الاستعمارية الأوروبية إلى أوروبا كـ" مركز" أو "قطب جاذب" للعالم يقع خارج "الشرق الأوسط."
وعندما بدأ الصهاينة يخططون لسرقة فلسطين عملوا على استخدام هذا المصطلح لكونه مصطلحا فضفاضا وواسعا يسهّل ضَم اسم إسرائيل، كما أنه يعمل على مسخ الهوية العربية للمنطقة، لذلك فهو مصطلح استعماري! كتب عنه "تيودور هرتزل"-مؤسس الحركة الصهيونية- في يومياته يدعو إلى(ضرورة قيام كومنولث شرق أوسطي يكون فيه لدولة اليهود شأن فاعل، ودور اقتصادي قائد).
ولم يطل علينا هذا المصطلح "الشرق الأوسط الكبير" الا بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 لوضع خريطة جغرافية وسياسية كاملة للمنطقة العربية تعمل على طمس المقوّمات الثقافية والحضارية التي يقوم على أساسها العالم العربي والإسلامي، ويتم تذويب هذه المنطقة التي تشترك في اللغة والدين في منطقة جغرافية أوسع

تمتد من بحر قزوين وشمال القوقاز شمالا وشرقا، إلى المغرب غربا.

ومن هنا جاء مصطلح" الشرق الأوسط الكبير" الذي طرحه الرئيس الأمريكي بوش ضمن ما سمي خِطَط الإصلاح السياسي والاقتصادي للدول العربية والإسلامية كي لا تصَدِّر العنف والإرهاب الناتج عن عدم الديمقراطية في هذه البلدان إلى الغرب، كما حدث في تفجيرات نيويورك. والأن أيها المتابعين الي ماذا وصل اليه هذا المشروع ؟ الإجابة هي أنه تقريبا فشل هذا المخطط وتسبب في كوارث في المنطقة ولم تستطيع امريكا نقل الديمقراطية للعراق وتسببت في كوارث بالعراق وانسحبت وتركته يواجه مصيره وأصبحنا نري الطائفية في العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين وحتي مصر صمام الأمان الأخير في هذا الشأن .

وبعد فشل هذا المخطط نري مشروع جديد يلوح في الأفق يسمى "الديانة الإبراهيمية"، تلك الديانة التي تسعي الي ذوبان الفروق والقسمات الخاصة بكل الأديان السماوية في ظل التوجُّهات التي تُنادي -بـ"الإبراهيمية" أو الدين الإبراهيمي، نسبةً إلى إبراهيم -عليه السلام- أبي الأنبياء ومجمع رسالاتهم،

وملتقى شرائعهم، وما تطمحُ إليه هذه التوجهات –فيما يبدو– من مزج اليهودية والمسيحية والإسلام في رسالةٍ واحدة أو دِين واحد يجتمعُ عليه الناس، ويُخلصهم من بوائق النزاعات، والصراعات التي تُؤدي إلى إزهاق الأرواح وإراقة الدماء والحروب المسلحة بين الناس، بل بين أبناء الدِّين الواحد، والمؤمنين بعقيدةٍ واحدة.. تري ؟

هل ينجح هذا المخطط أيضاً ؟ أم يفشل مثلما فشلت بقية المخططات الأخرى التي تسعي لابادة هذه الأمة .. لا إجابة لدينا الأن هنا .

ريم عزالدين المصري .

وانتبهت بينما هي جالسة لسيارة صغيرة تقف أمام المنزل وينزل منها إياد وحسنة.

إياد: ريم.

ريم: إياد، كيف حالك يا إياد؟ اصعدا أنت وحسنة.

حسنة: معنا ضيف يا فتاة، ألا ترحبين به؟

ريم: ضيف؟ منذ مدة لم يأت أحد لزيارتي، مَن هو يا حسنة؟

إياد: رئيسي المباشر وصاحب العمل في شركة من شركات إعمار غزة يا ريم.

ريم: أهلًا وسهلًا به يا إياد، ومرحبًا بروائح مصر الغالية، أين هو؟!

هنا نزل حسام من السيارة ليفاجأها.

حسام: سمعتُ كثيرًا عن جودة المطبخ الفلسطيني وأحببت أن أتذوقه، وأخبروني أنهلابُدَّ لي من زيارة مطعم عز الدين المصري.

نظرت له ريم بحب والدموع تنهمر من عينيها،ونطقت: حسام! أكاد لا أصدق عيني، حسام هنا فى غزة!

وأسرع في الهبوط من أعلي ورمت بنفسها بين أحضانه، عانقها حسام في فرح واحتضنها، وأطرق إياد يطرق برأسه في حزن.

حسام: كنتِ تظنين أنك ستختبئين مني إلى الأبد! سنظل معًا حتى يفرقنا الموت يا فتاة.

حسنة: أتعرف، أنت تشبه عمي عز الدين كثيرًا يا حسام.

حسام: إياد أخبرني بهذا أيضًا.

إياد: انتظر،إنك لم تر شيئًا بعد.

حسام: أهناك المزيد؟!

ريم وهي تقتاده من يده لأعلي ليدخلا المنزل: تعال، ادخل هذه الغرفة.

ليدخل حسام غرفة صغيرة، ويجد طفلين صغيرين لم يكملا من العمر التسعة أشهر يمرحان بمشايات أطفال.

ريم للطفلين وهي تحملهما: هيا، رحبا بأبيكما.

حسام بفرحة: اثنين يا ريم! كنتُ قد نسيت.

ريم بخجل: أنت تنسى أشياء لا تنسى يا رجل.

حسام للطفلين: هيا قولا بابا ..بابا، بماذا أسميتِهما؟

ريم: عبدالقادر وعبد العظيم.

حسام: هكذا تم جمع فرعي العائلة.

ريم: فلتنعم الزهراء في رقدتها الأبدية، والآن قل لي يا رجل الأعمال الهمام أين ستمكث فى غزة؟

حسام: في منزل زوجتي في غزة.

ريم في دهشة: هل تزوجت أيها الوغد؟ كنت أعرف أنك ستفعلها إن جرت الأموال في يدك، وأين هي خطافة الرجال تلك؟

ريم: أين هي؟ تكلَّم!

حسام: أنتِ، لقد قمت بردك إلى عصمتي، ما رأيك؟

نظرت له ريم بأعين باكية فضمها إلى صدره بلهفة وقال: أخيرًا يا ريم.

تمت

المصادر

الهولوكوست: حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها

books.google.com › books

ندى الشقيفي2011 ·

يعنى هذا الكتاب بتوضيح حقيقة الهولوكوست، ومدى استغلال الصهاينة لها، وذلك من خلال الحديث عن الحركة الصهيونية العنصرية، و أفكارها، ...

الهولوكوست المعكوس: قصة قتل اليهود ل 80 ألف ألماني وتعذيب

books.google.com › books

أيمن شرف2016 ·

ألف الصحفي جون ساك كتابا يؤكد أن اليهود شاركوا مع آخرين عقب اجتياح السوفييت لبولندا وطرد جيش النازي منها في جرائم إبادة جماعية...

مفكرو الغرب بين الصهيونية و الهولوكوست و الإسلام: حوارات

books.google.com › books

يحيى أبو زكريا2013 ·

يضمّ هذا الإصدار بين دفّتيه مجموعة من الحوارات الفكرية المعمّقة، والتي أجراها الكاتب والمفكّر الإسلامي الجزائري الدكتور يحيى أبوو افية

زيغمونت باومان ,المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات2019 ·

صدر عن سلسلة "ترجمان" في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات كتاب "الحداثة والهولوكوست"، وهو ترجمة حجاج أبو جبرودينا رمضان

ضحى عبد الغفار المغازي2018 ·

يقدم هذا الكتاب تجربة أنثروبولوجية إعلامية مصرية بعنوان ``دورة حياة مشروع الشرق الأوسط الكبير``، بداية بقصتها زمان ومكانا،

وما

مشروع الشرق الأوسط الكبير: الآليات، التداعيات، المواجهة... :

books.google.com › books

مهدي، مجدي صلاح طه · 2009 · عرض المقتطفات

العرب وتحديات الشرق الاوسط الكبير

books.google.com › books

مدبني، توفيق · 2010 · عرض المقتطفات

مراشدة يوسف· 2007 ·

جدول المحتويات

الفصل	الصفحة
الفصل 1 أسدود بنها	6
الفصل 2 مرحبًا بكم في غزة	14
الفصل 3 القاهرة ترحب بكم	57
الفصل 4 العاصفة	70